

الفصل الأول

ما الذي يحتاج إليه مدرس النحو وينبغي أن يتسلح به

تمهيد:

في هذا الفصل سنتناول مسائل نرى من الضروري أن يلم بها مدرس النحو ليتسنى له أداء رسالته على الوجه المتوخى.

يعد المعلم قطباً من الأقطاب الأربعة للعملية التعليمية (١)، وركناً من أركان المنهاج التربوي كما يؤكد على ذلك الأستاذ " سبيرز هارلد " (٢). لأن المدرس يضطلع بمهمة خطيرة وحساسة، فهو الذي يعهد إليه تنفيذ المنهاج وترجمة إلى واقع. انطلاقاً من أن قيمة منهاج ما تكمن في مدى تنفيذه عملياً. لأن " المنهج شيء حي، ويصبح حقيقياً فقط عند ما يبدأ المعلم والمتعلم في تنفيذه عملياً " (٣). وهذا المدرس يجب أن يكون من ذوي الخالصة الأقوياء؛ ذلك أن من يسند إليه تعليم الناشئة اللغة لا يكون بمقدوره القيام بعمله على نحو فعال ما لم تكن له الخبرة الكافية بنظام اللغة (٤) المراد تعليمها، وكذا طرائق تحليلها. إذ " إن اللسانيات تعد الأداة الأهم التي تساعد مدرس اللغة على وصف اللغة المراد إكسابها متعلميه وصفاً موضوعياً علمياً، وتساعد على تحليلها تحليلاً علمياً (٥). وهي التي تزوده بالمنهج التعليمي الملائم لإيصال عناصرها (٦). قال ابن خلدون: " وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة (٧) وحصول الملكة " (٨). فمدرس النحو رسالته خطيرة. أداؤها على أكمل وجه، يقتضي منه أن يكون ذا كفاية من الناحية العلمية ومن الناحية اللسانية (٩) يجمع بين التكوين اللساني الكافي المناسب للمرحلة التعليمية المنوط بتدريس أبنائها، وبين التكوين في صناعة تعليم اللغات الذي يساعده على إنجاز الفعل التعليمي بكفاية ونجاعة وفاعلية (١٠).

فالمدرس الجيد الذي له دراية بمعارف عصره وماضيه فيما يتعلق بتخصصه من

شأنه أن يسد الثغرات المختلفة، سواء أعلقت تلك الثغرات بالأهداف، أم بالمحتوى، أم بالطريقة (١١) ذلك أن التوكيد على الإنتاج الفعال في تعلم اللغة لا يعزى إلى التطورات في علم اللغة النظري الحديث فقط وإنما يعود إلى التطورات المسجلة في نظرية التعلم" (١٢) لذلك لا ينبغي أبداً أن يسند تدريس هذا النشاط الخطير إلى غير المعلمين المختصين به الجاهلين به وبأساليبه لأن ذلك أدعى إلى حصول النفور منهم من قبل المتعلمين حين يقفون على جهلهم (١٣)، ثم إن تسجيل القصور في فهمهم وظيفه القواعد، وعدم وضوح الأهداف من تدريسها (١٤) سيؤدي ذلك إلى سوء استغلالها.

وقد أرجع بعضهم مشكلات النحو إلى المصدر العلمي والقدرة المهنية (١٥) اللذين يكشفان افتقار المعلم إلى المعلومات الكافية الدقيقة عن اللغة وطبيعتها ووظيفتها وطرائق تدريسها. واللسانيات التربوية تحصر الحاجة المسيسة لمدرس النحو في شروط ثلاثة:

١. الملكة اللغوية الأصيلة المنوط باكسابها متعلميه.
 ٢. أدنى كمية من المعلومات عن اللغة المراد تعليمها.
 ٣. ملكة تعليم اللغة (١٦) تجعله يبحث عن طريقة فاعلة تمكنه من معرفة كيفية إكساب متعلميه الملكة اللغوية الكافية (١٧).
- وحين نتصفح منهاج اللغة العربية وآدابها للتعليم الثانوي نجد أن مطالبه البيداغوجية الملحة قوامها الأستاذ بكفايته المهنية، وقدراته المعرفية التي تمكنه من فهم طبيعة العملية التربوية. على نحو يدرك فيه أن المتعلم هو محور هذه العملية.
- ومن ثم ضرورة مراعاة حاجاته وميوله. باختيار الطرائق النشيطة التي تستثمر الوسائل المتاحة خير استثمار، بغية تلبية تلك الحاجات. وصولاً بهذا المتعلم في نهاية المرحلة الثانوية إلى الملمح الذي ينبغي أن يكون عليه (١٨). لذلك فإن ثمة جملة من الشروط المتعلقة بهذا الأستاذ. هذه الشروط مجتمعة هي ما أدرجناه تحت عنوان ما الذي ينبغي لمدرس النحو أن يتسلح به؟ ولماذا؟ (١٩).

هناك أمر ذو بال لا يجوز لمدرس النحو العربي - على وجه الخصوص - أن يجهله. وهو أن يكون هذا المدرس على قدر كاف من الإطلاع على ما جد في اللسانيات

الحديثة(٢٠). فأردنا أن يكون القدر الكافي من الاطلاع موصولاً أساساً بالكفاية اللغوية، والتبليغية التي هو منوط بإكسابها متعلميه. انطلاقاً من أن فروع اللغة جميعها متضافرة ومتعاونة على تحقيق الغرض الأصلي منها. وهو إقدار المتعلم على أن يستخدم اللغة استخداماً صحيحاً للإفهام والفهم(٢١).

أولاً - الكفاية

ولما كانت الكفاية اللغوية أساسية لها هذه الدرجة من الأهمية - باعتبار أن الهدف الجوهرى من نشاط(٢٢) النحو هو حصول هذه الكفاية لدى التلميذ لم يكن مناص لأستاذ اللغة العربية من أن يكون على دراية بها. فما مفهوم هذه الكفاية اللغوية ؟ قبل التحدث عن هذه الكفاية نلفت الانتباه إلى أن " تشو مسكي" في نظريته إلى اللغة رفض الوصف القائم على الملاحظة الشكلية للبحث اللغوي. إذ إن البحث اللغوي - حسب رأيه - لا ينبغي أن يكون وصفاً لما قاله المتكلمون، وإنما يكون شرحاً وتعليلاً للعمليات الذهنية (٢٣).

ونظرية "تشو مسكي" التوليدية والتحويلية عرجت بالبحث اللساني من منهج يتوخى معطيات علم النفس السلوكي - الذي يرى أن اللغة عادات تكتسب بالتكرار عبر آليات العلاقة بين المثير والاستجابة - إلى منهج عقلي همه اكتشاف القدرة الكامنة وراء البحث اللساني من أجل تعليقه وتفسيره. بدلاً من وصفه وصفاً شكلياً سطحياً (٢٤).

والكفاية اللغوية كما يفسرها "تشو مسكي" هي معرفة المتكلم المستمع المثالي للغة(٢٥). أي القدرة التي يمتلكها المتكلم المستمع المثالي للغة. والتي تخول له إنتاج عدد لا حصر له من جمل لغة بيئته الأولى(٢٦) اعتماداً على الإمكانيات الكامنة عنده. حتى إنه يستطيع بالمخترن الذي لديه، الذي يسميه " السكاكي" (خزانة الصور)، أن يفهم جملاً ووحدات إسنادية لم يسبق له أن سمعها أو قرأها(٢٧). وهي المعرفة التي لكل من المتكلم والمستمع(٢٨). وهذه المعرفة متمثلة في مجموعة قواعد لغوية عامة متشكلة في ذهن الإنسان، وهي التي تمكنه من اكتساب أية لغة بشرية على وجه الأرض(٢٩). وذو الكفاية اللغوية حين يتكلم أو يستمع أو يكتب أو يقرأ يسجل أن

نظام لغته الذي يمتلكه هو الذي يمكنه من القدرة على إنتاج وفهم البنى والتراكيب اللامتناهية دون أن يكون قد سمعها أو عرفها من قبل. فهي القدرة على الفهم، ممثلاً في فك الرموز اللغوية، والإفهام ممثلاً في تركيب تلك الرموز. " والمفهم لك والمفهم عنك شريكان في الفضل" (٣٠). وهذه الكفاية بمثابة ملكة لا شعورية (٣١) تجسد العملية الآنية التي يؤديها مستعمل اللغة بهدف صياغة تراكيبه وتفهمها تبعاً لتنظيم القواعد الضمنية الذي يربط بين الأصوات اللغوية وما تحمله من معان (٣٢). وهذه الكفاية اللغوية تخول للمتمتع بها إنتاج عدد لا حصر له من تراكيب إسنادية، وكذا فهم وتفسير هذه التراكيب الإسنادية اعتماداً على الإمكانيات الكافية عنده ذلك أن وراء السلوك اللغوي ممثلاً في الأداء الذي يمكن ملاحظته كفاية لغوية مجردة ثابتة توجه هذا السلوك (٣٣).

وتعد "الكفاية اللغوية أي معرفة اللغة بمثابة تنظيم مجرد (٣٤) مكون من قواعد تحدد الشكل والمعنى الأصلي (٣٥) لعدد غير متناه من الجمل (٣٦) الممكنة" (٣٧)، وكذا لعدد من الصيغ الصرفية المحولة (٣٨).

وهي القدرة على إنتاج التراكيب الإسنادية وتفهمها في عملية التعاطي مع اللغة في أثناء التواصل. سواء أكانت هذه التراكيب الإسنادية وحدات إسنادية أم جملاً. وسواء أكانت توليدية أم تحويلية. إذ يشير مصطلح الكفاية اللغوية إلى قدرة المتكلم (٣٩) المتسمع المثالي على أن يجمع بين إدراك العلاقة التي بين الأصوات اللغوية وبين المعاني المنطوية عليها التي تأتي في تناسق وثيق مع قواعد لغته" (٤٠).

وأساس ذلك أن اللسان أداة. وتعني الجانب الأول للغة وهو الصوت إلى جانب المفهوم للتبليغ والتخاطب (٤١)، لأن "مما يعلم ببداءة العقل أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضاً ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده" (٤٢). وأنه من "الواضح جداً أن للجمل (٤٣) معنى خاصاً تحدده القاعدة اللغوية (٤٤)، وإن كل من يمتلك لغة معينة قد اكتسب في ذاته وبصورة ما تنظيم قواعد تحدد الشكل الصوتي للجملة ومحتواها الدلالي الخاص" (٤٥). والجرجاني لا يقصد معاني النحو القواعد المسطرة في كتب النحو، لأن المتكلم قد يجهل جهلاً كلياً الممارسة العلمية للنحو ولكنه يمارس النحو أثناء العملية

التواصلية، ويعني بالقواعد النحوية هنا القواعد التجريدية الكامنة في ذهن كل من المتكلم والمستمع، والتي بواسطتها ينتج الأول الكلام، وبها يفك الثاني رموزه " (٤٦)، أي يفهم هذا الكلام. والكفاية هي " معرفة المتخاطبين لأوضاع اللغة التي يتخاطبان بها، وهي معرفة عملية غير نظرية ارتسمت صورها ورسخت في نظامهما العصبي المركزي منه والخارجي على نحو استطاعا فيه أن يحكما أفعالهما ". فهي بالنسبة إلى المتكلم أو المبلغ تلك العمليات الخفية التي تحول أغراضه إلى سياق منظم من الألفاظ الدالة على هذه الأغراض. وهي بالنسبة إلى المخاطب تلك العمليات التي تترجم تلك الألفاظ وتحملها على المعاني المقصودة منها (٤٧). وتشومسكي يركز على الإبداع الخاص بالجمل أو الوحدات الإسنادية انطلاقاً من المعرفة الواعية للقواعد الموظفة باستمرار من طرف مستعمل اللغة حين تكلمه أو كتابته أو قراءته " (٤٨)، لأن التيار التوليدي التحويلي يركز على المستويات العليا في الكلام، التي تتمثل في الجمل والوحدات الإسنادية (٤٩) وبخاصة تلك التي وقع فيها تحويل (٥٠).

الكفاية التبليغية:

وبعضهم يوسع مفهوم تشومسكي للكفاية اللغوية بالحديث عن الكفاية التبليغية التواصلية التي تعني " القدرة على استعمال اللغة في مختلف الأحوال الخطابية لشتى الأغراض " (٥١)، لأن هذه الكفاية التبليغية تؤخذ من وسائل عديدة معرفية ونفسية واجتماعية وثقافية بناء على البنية الاجتماعية التي يعيش فيها المتكلم (٥٢). ومن ثم تساعد هذا المتكلم على تنويع صور (٥٣) الخطاب بما يلائم المقام (٥٤) ويعبر عن مختلف الأغراض. والكفاية التبليغية مهارة يكتسبها المتعلم ليحكم بها أفعاله الكلامية (أداءه) على نحو تكون فيه صفة راسخة تمكنه من ترجمة وتوظيف تلك القدرة (٥٥)، وهي تتعدى الكفاية اللسانية التي تنحصر في معرفة النظام النحوي والصري في المسهم في الإقدام على التركيب السليم للجمل أو الوحدات الإسنادية الوظيفية (٥٦)، لأن من يمتلك هذه القدرة (٥٧) فقط لا يستطيع استعمال اللغة في مختلف المقامات والأوضاع، وما تقتضيه أحوال الخطابات في ميادين الحياة اليومية (٥٨). وهذه الملكة أو الكفاية التبليغية من شأنها إكساب المتعلم الملكة التواصلية،

وتعني امتلاكه قدرًا معيناً من قواعد لغة ما على نحو يمكنه- سواء أكان من أبناء هذه اللغة أم من غيرهم- من الاتصال المثمر مع أبنائها فهماً وإفهاماً بما يتفق والأعراف اللغوية السائدة في الجماعة اللغوية(٥٩). وبذلك تعني هذه الكفاية القدرة على تقبل الخطاب وتبليغه من خلال تشكيل رموزه وتفكيكها بحسب ما تقتضي ظروف التخاطب. سواء أكان الخطاب شفويًا أم مكتوبًا. ذلك أن الملكة التبليغية تركز على ظروف التبليغ اللغوي وشروطه. وهي تهدف إلى تحقيق النجاعة التبليغية(٦٠) وهو ما يسجل فقدانه في حياة تعليمنا الثانوي، الذي يلاحظ أن التبليغ في نموذج التعليمي خال من التفاعلات بين المعلم والمتعلم(٦١).

وأساس ذلك أن ما يحدثه المتعلم من أفعال لا يتم بشكل منعزل، وإنما يحدث في حال خطاب معينة. ويوجه إلى مخاطب معين. ولذلك دخل كبير في موقف المتعلم وسلوكه اللغوي وتأثيره في تعليم اللغة(٦٢). وبناء على ذلك وجب استثمار أحوال الخطاب في العملية التعليمية باعتبار أنها تقنية تمكن من التبليغ الفاعل في مختلف أحوال الخطاب وصولاً إلى تمكين المتعلم من معرفة استعمال الأحاديث حسب مقتضيات التبليغ(٦٣)، وكذا استثمار نظرية التحدث التي اعتتت بأحوال الحديث، وهي إنجازات تحليل الخطاب التي استفاد منها الغربيون في تعليم لغاتهم في جميع المستويات بما يجعلهم يكتفون صيغاً خطابية حسب أحوال الخطاب ومقاماته اللازمة(٦٤). ولما كانت الأفعال الكلامية تتعلق بممارسة الكلام في مختلف ظروفه وأحواله، فإنه ينبغي للمعلم أن يهيئ للمتعلمين الظروف الملائمة التي تدفعهم إلى إحداث أفعال كلامية تتعلق بمحتويات المواد التي يدرسونها(٦٥). فالكفاية إذن هي حقيقة عقلية كامنة وراء الأداء الكلامي(٦٦). فما مفهوم الأداء الكلامي ؟

الأداء أو التأدية:

إذا كانت الكفاية هي امتلاك المتكلم والسماع القدرة على إنتاج عدد لا حصر له من الجمل والوحدات الإسنادية من عدد محدود من الفونيمات الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة هذه التراكيب الإسنادية(٦٧) من وجهة نظر نحوية تركيبية، ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة وتجمعها في مورفيمات تتنظم في جمل(٦٨) يتمكن من

خلالها مستعمل اللغة من إنتاج وتأويل تراكييب إسنادية ذات بنيات متنوعة ومعقدة في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة. وهي تقابل القالب النحوي الذي يعني الانتحاء. وكل ذلك يتم في عمليات ذهنية داخلية (٦٩)، فإن الأداء الكلامي هو الاستعمال الفعلي للغة في الظروف المحسوسة (٧٠) أي هو الاستخدام اللغوي عند فرد بعينه. والأداء بمفهوم "تشومسكي" هو تحقيق اللغة وتنفيذها فعلياً، أي نقلها إلى حيز الاستعمال الشفوي أو الكتابي. فهو يتمثل في استعمال اللغة وإنتاج جمل تبدو في فونيمات ومورفيمات تتنظم في تراكييب إسنادية خاضعة للقوانين اللغوية المسؤولة عن تنظيمها. فتوظيف الكفاية اللغوية عندما نتج أو نفهم جملاً أو وحدات إسنادية وظيفية (٧١) من خلال صيغ ذات دلالات مستمدة من السياق يشكل الأداء اللغوي (٧٢). ومنه فالأداء الكلامي هو إتقان اللغة في وقت من الأوقات في عملية خطابية (٧٣) أي هو الاستعمال الآني الفعلي للغة ضمن سياق معين. وهذا الاستعمال تقوده الكفاية اللغوية الذي هو انعكاس مباشر لها (٧٤).

فإذا كانت الكفاية اللغوية هي الامتلاك للآلية اللغوية، فإن الأداء الكلامي هو الحصيلة لعمل هذه الآلية، لأن اللغة في ظل النظرية التوليدية التحويلية هي مسار عقلي دينامي (٧٥). وإذا كان "ابن جني" يرى أن القدامى قد طبعوا على نظام اللغة وعلله، أي على الكفاية اللغوية التي يمتلكها المستعمل المثالي للسان العربي من غير وضع منهم لعله، ولا لقصد من القصود المنسوبة إليهم في قوانين هذا اللسان وأغراضه، حيث إن الأخير منهم حذا على منهج الأول فقال به (٧٦)، أي ممارستهم اللغة فعلياً، وكان أداؤهم لها سليماً نحوياً ودلالياً، فإن التعويل على الأداء وحده دون الاستعانة بالكفاية اللغوية كان يمكن أن يكون مقبولاً فقط لو كان المتعلم موجوداً ضمن مجتمع يتكلم ويمارس هذه اللغة. وفي هذه الحال لا يشترط أن يكون التعلم ناجماً عن وعي ودراية (٧٧) ومستنداً إلى الكفاية اللغوية. وأساس ذلك أن متعلم أي لغة عاشها يكون اكتسابه لتلك اللغة بمحض وجوده في ذلك المجتمع.

كيفية الوصول إلى الكفاية والأداء:

لقد سبق أن بين لنا "ابن جني" أن النحو هو انتحاء سمت كلام العرب "الذي

يقصد به كلامي وكلامك وكلام الآخرين الذي نتعامل به في حياتنا اليومية(٧٨).

والنحو بمفهوم الانتحاء الذي تصوره " ابن جني" وجد لفرض تعليمي، ويعد وسيلة مساعدة للاستقامة في الأداء الفعلي للكلام. سواء أكان المتكلم أعجمياً أم عربياً ضعفت سليقته بسبب تأثير الاختلاط بالعناصر غير العربية، أم بسبب ابتعاده عن البيئة اللغوية العربية القادرة على إكسابه العادات اللغوية بين أفراد مجتمعه اللغوي المتجانس (٧٩). وقد تبدت هذه النزعة التعليمية في التعريف الذي قدمه " ابن جني" للنحو حين تصوره بأنه انتحاء سمت كلام العرب(٨٠). فالنحو وسيلة مسعفة تقترب من العادة اللغوية وتعود إليها في صلتها الدائمة بالأداء الفعلي للكلام من حيث كونه ممارسة تداولية (٨١) وإذا كان "السيوطي" قد أوماً إلى الشائبة المنهجية المتمثلة في الوصف والقياس (٨٢) حين قوله: " اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه. وأما النحوي(٨٣) فشأنه أن يتصرف في ما ينقله اللغوي ويقيس عليه"، فإن المتعلم في آدائه الكلامي يمكن تشبيهه في المدرسة السلوكية " البلومفيلدية " باللغوي الذي يقف عند حدود ما سمعه أو قرأه دون أن يتجاوزه. لكن المتعلم في المدرسة الذهنية " التشومسكية" يمكن وصفه بأنه نحوي يتصرف ويقيس على ما سمعه، لأنه لم يسمع كل الكلام. ولذلك فالأداء عنده ينبغي أن يعكس كفايته اللغوية. يقول " برونز": " لنعلم إنساناً في مادة أو علم معين. فالمسألة لا تكون في أن تجعله يملأ عقله بالنتائج(٨٤)، بل أن تعلمه أن يشارك في العملية التي تجعل في الإمكان ترسيخ المعرفة أو بناءها. إننا ندرس مادة لا لكي ننتج مكثبات صغيرة حية عن الموضوع بل لنجعل التلميذ يفكر رياضياً لنفسه، وليشارك في عملية تحصيل المعرفة"(٨٥). وقريب من هذا المعنى المثل الصيني: " لنعلم الإنسان كيف يصطاد السمك خير له من أن نقدم له ما يحتاج إليه من السمك". ذلك أن استعمالنا للغة إنما هو استعمال إبداعي يهدف إلى أننا نتواصل بجمل لم يسبق لنا سماعها(٨٦). لأن النحويين العرب يجعلون الأصل المنطلقة " منه التحويلات هو أقل ما يمكن أن يتكلم به مفرداً(٨٧). وينظر ما هي العناصر التي يمكن أن تدخل ذلك دون أن تخرجه عن كونه كلاماً واحداً(٨٨)". وترتكز النظرية التحويلية على الإبداعية في اللغة لأنها الخصيصة التي تتميز بها اللغة التي تعد نظاماً متفتحاً غير مغلق تتجلى فيه قدرة مستعمل اللغة على إنتاج وفهم عدد غير متناه من

الجملة التي لم يسبق له سماعها (٨٩). وثمة فرق بين مستويين من مستوى الأداء اللغوي: مستوى الممارسة الفعلية للغة ومستوى التمكن من قواعدها. وإن الشكوى من تدني مستوى الأداء اللغوي ظاهرة قديمة وليست جديدة لدى متعلمينا. وما أبعد الشقة بين مستوى الأداء اللغوي ممثلاً في الفهم الجيد للتركيب والبنى، والإفهام الواضح باستعمال هذه التركيب والبنى للتعبير عما يخالج النفوس من آراء، وبين الإحاطة بقواعد الإعراب. أي أن ثمة فرقاً بين الكفاية اللسانية والقدرة على توظيفها وبين صناعة العربية.

والضعف لا يعزى إلى جانب واحد. لكن الجانب الأخطر يكمن في عدم إتاحة الفرصة للمتعلم الممارسة الفعلية للغة. يقول "هايمز" Hymse "لكي تتواصل مع الآخرين لا يكفيك أن تعرف اللغة ونظامها، بل أن تعرف أيضاً كيف تستعملها في سياقها الاجتماعي" (٩٠). والحديث عن ثنائية الكفاية اللغوية والأداء الكلامي يبين لنا أن ثمة نوعين من المعرفة النحوية: المعرفة النحوية العفوية (٩١) التي تكون فيها القواعد ضمنية تخلو من العرض المباشر لأية قوانين. ويقابلها المعرفة النحوية الواعية أو المقصودة. "وهي المعرفة التي يركز عليها التعليم الممنهج (...)"، ويقصد إليها قصداً بالتخطيط والدرس والشرح والتعريف والاختبار والتقييم" (٩٢). وفيها تكون القواعد التي يقوم عليها بناء الجملة والوحدات الإسنادية الوظيفية صريحة مباشرة. ويرى بعض الدارسين أن القواعد الضمنية والصريحة ينبغي لهما أن يسيرا جنباً إلى جنب حين تعليم اللغات (٩٣). والنظرية السلوكية توخياً للاقتصاد في الوقت والجهد تكتفي بالمعرفة الضمنية (٩٤) أي المعرفة النحوية العفوية التي تحصل من الممارسة المستمرة للغة من خلال النشاط التبليغي للكلام دون أدنى تأمل أو جهد واع، إلى أن يترسخ نحو تلك اللغة في ذهن المتكلم الممارس، فتصير ملكة لديه يتسنى له بواسطتها إنشاء الكلام وفهمه. فهي معرفة خاصة بمتكلمي اللغة ومستعملها. وتلك الملكة تتأتى على نحو تدريجي ذاتي. يتوصل فيها المتكلم إلى امتلاك وإحكام نظام اللغة فتصبح كأنها طبيعة أو جبلة لديه على نحو يصير فيه مالكاً ناصيتها كأنه سليقي لا يحتمل لأجل مراعاتها في كلامه الكلف والمشاق مثلما قال ابن جني (٩٥). وهذه المعرفة النحوية العفوية لا تحصل للمتعلم بمعرفته القوانين العلمية للغة، وإنما تحصل له بممارسته

كلام العرب وتكراره، والتفطن لخواص تراكيبه على نحو يصل فبه إلى التمكن من تمييز صواب الكلام من خطئه. فيعرف ما هو من سنن كلام العرب وما هو حائد منه عن سمت المتكلمين ومجاريهم في كلامه، وذلك بانتحاء سمت كلامهم (٩٦). بالمحاكاة والنسج على منوالهم. وأساس ذلك أن القواعد المنتحة أو المعرفة العفوية هي الواقع الأوسع من تلك القواعد التي يحاول النحويون واللسانياتيون استنباطها وصياغتها انطلاقاً من لغة المتكلم.

و يذهب بعضهم إلى أن تلك المعرفة النحوية ذات طابع تعليمي لأنها تتطوي على آليات موافقة للقواعد الاستعمالية الخاصة بجماعة ما (٩٧) فالمتكلم يجري في كلامه على قواعد ونظم يصدر عنها ولا يتجاوز سننها وإن لم يفتن لها (٩٨) والبنويون يرون أن المتكلم يحاكي ويكرر جملاً وتراكيب جاهزة بأعيانها.

ويذهب "إبراهيم عاجي" حين شرحه نظرية البنويين في تعليم اللغة إلى أنه لا يمكن أن تكون مسألة تعلم اللغة عند البنويين ذات فائدة إذا لم يهدف هذا التعلم إلى خلق آليات لغوية لدى المتعلم الذي لا يحتاج إلى دراسة قواعد اللغة دراسة نظرية بقدر حاجته المسيسة" إلى تعلم جمل جاهزة يمكن أن تشكل رد فعله في موقف معين. إنه يحتاج مثلاً إلى معرفة ما يجب قوله بلغة ما إذا التقى بأساتذته أو إذا دخل دكان يقال، أو إذا أراد إظهار إعجابه بشخص ما (...). وعملية التعلم يجب أن توفر له هذه المعرفة، وذلك عن طريق التكرار وعن طريق وضعه في مواقف شبه طبيعية لاختبار ردود أفعاله" (٩٩) "أليست اللغة في نهاية المطاف عبارة عن مجموعة من الجمل الجاهزة (. . .) يتناول الناس ما يناسبهم منها في المكان والزمان المعينين" (١٠٠)، وأساس ذلك أن اللغة عند هؤلاء البنويين إن هي إلا عادة من العادات (١٠١) وهي سلوك اجتماعي يمكن اكتسابه بشكل آلي (١٠٢) بالمحاكاة للتراكيب الجاهزة دون أعمال الفكر". إن حصر اللغة في جمل تتكرر دائماً بشكل آلي بجانب لحقيقة اللغة لما فيه من إغفال وتناس لقدرة الإنسان على إبداع الجمل اللامتناهية بالمتناهي من النماذج. يعزز ذلك قول للأستاذ " عبد الرحمن الحاج صالح " مفاده: " غير أن هذه النظريات التي أطلق عليها اسم البنوية (. . .) كانت قد تناست أو تجاهلت جانباً هاماً من الدراسة وهو الظواهر المتعلقة بالقدرة

التي منحت للإنسان على الكلام للدلالة على أي غرض كان، وبالتالي على كيفية إحداثه له وكيفية تحقيقه للعبارات (١٠٣) المختلفة اللامتناهية بالمتناهي من الوحدات" (١٠٤). فالجمل التي يكررها الإنسان في واقعه المعيش لا تمثل إلا نسبة ضئيلة جداً إذا ما قورنت بالجمل التي يؤلفها هذا الإنسان. وقبل عرض كيفية اكتساب الكفاية اللغوية" ينبغي أن نضع تمييزاً واضحاً يميز بين ملاءمة السلوك اللغوي الظروف (ظروف المتكلم)، وبين سيطرة المثيرات على السلوك اللغوي. فسيطرة المثيرات تعزى إلى الآلية المسيرة في حين ترتد الملاءمة في تنوعها الإنساني إلى خارج إطار التفسير الميكانيكي" (١٠٥) أي تميز بين عملية التشريط وعملية الإبداع. فالسلوكيون ينظرون إلى اللغة على أنها مجموعة عادات صوتية يكيفها حافظ البيئة. فالمتكلم في رأيهم حين يشعر بشعور ما تتولد عنده استجابة كلامية دون أن ترتبط تلك الاستجابة بأي شكل من أشكال التفكير (١٠٦). يقول جون ديوي "ومن الواضح أن اكتساب العادات يرجع إلى مرونة أصلية فطرية في طبائعنا وإلى قدرتنا على تنويع وتغيير رجوعنا واستجابتنا" (١٠٧) والحق "إن اللغة الإنسانية تتجلى عبر مظهر استعمالها الإبداعي في القدرة الخاصة على التعبير عن أفكار متجددة، وعلى تفهم تعابير فكرية أيضاً متجددة" (١٠٨). فثمة تكامل بين الممارسة والكفاية اللغوية. والإبداعية في اللغة تظهر في قدرة مستعملها على إنتاج وفهم عدد غير منته من جمل اللغة وفقاً لتنظيم قواعد هي في غاية التعقيد. وبهذا التنظيم يتمكن مستعمل اللغة من إنتاج الكلام الجديد الملائم ظروف التكلم، وكذا تحليل هذا الكلام وتفسيره (١٠٩)، وإدراك صور تأتية. فكل إنسان يتكلم لغة ما قادر على إنتاج جمل متجددة لم يسبق له سماعها من قبل. واستعماله لغة في مختلف المجالات التبليغية هو استعمال إبداعي في ظل مفاهيم اللسانيات التوليدية التحويلية. ولا يعني ذلك حصر الإبداع في الأعمال الخلاقية في مجال الإبداع الأدبي. "فأنا عند ما أتكلم عن الإبداعية لا أقوم بأحكام تقويمية. فالإبداعية تدرج في استعمال اللغة الاستعمال اليومي العادي في الفعل الإنساني" (١١٠). والمشتغل بتعليم اللغة لا يعتمد مبدأ التكرار لأن عملية التعلم لا تكون بمحاولة ترسيخ ما يلقن بالتكرار والمثير والاستجابة وبقية الإجراءات السلوكية، بل تكون منصبة على مساعدة المتعلم على اختيار فرضياته في جو ملائم يجعله يتمكن من بناء مختلف نظمه اللسانية.

وبالنسبة إلى واقع اللغة العربية يجب أن توضع برامج خاصة لمساعدة المتعلمين على تحويل القدرة أو تحويل الراموز(١١١). لذلك ينبغي لمدرس النحو أن يفرق بين نوعين من التحليل للبنى والتراكيب اللغوية. فثمة بنى وتراكيب بسيطة توليدية يكتفى فيها بالوصف الظاهر الملاحظ. وهذه البنى والتراكيب يمكن تعليمها عن طريق المحاكاة كما يرى البنيويون، وثمة بنى وتراكيب تحويلية في حاجة إلى اللجوء إلى بنياتها العميقة انطلاقاً من أن ثمة نوعين من التواصل: تواصل عادي، وتواصل راق. قال الزجاجي: " وليس كل العرب يعرفون اللغة كلها غريبها وواضحها ومستعملها وشاذها بل هم في ذلك طبقات يتفاضلون فيها " وأما اللغة الواضحة المستعملة سوى الشاذ والنادر فهم فيها شرح واحد"(١١٢).

فهناك لغة عامة تدل على المفاهيم العامة. وهناك لغة خاصة ليست لكل الناس (١١٣). يؤيد ذلك قول لابن خلدون مؤداه: "ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب. والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات. والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولاً، ولأنه يختص بالضروري الذي تقوى الدواعي على نقله فيكون سابقاً في التعليم. ويكون تعليمه لذلك ناقصاً ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستتباب شيئاً فشيئاً على التدرج حتى تكمل. ولا يحصل ذلك دفعة، وإنما يحصل في أزمان وأجيال. إذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة واحدة لا سيما الأمور الصناعية فلا بد له إذن من زمان"(١١٤). فالمتعلم يتعلم البنى البسيطة التي لا إعلال فيها ولا إبدال، ويتعلم التراكيب الإسنادية البسيطة والجمل التوليدية التي تأتي أركانها على أصولها من حيث الأفراد والتعريف والتكبير والتقديم والتأخير، والتي يكون التواصل فيها بسيطاً. وبنياتها مغلقة لا تأويل فيها(الألفاظ على أقدار مدلولاتها).

والكفاية اللغوية تتطور وترتقي إلى كفاية تبليغية يضع فيها مستعمل اللغة كلامه بحسب قوانين النحو(الانتحاء) وأصوله. ويتصرف في التعريف والتكبير والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإضمار والإظهار. ذلك أن الأوضاع النحوية هي التي يتفاضل بها كلام على كلام، فليس من فضل ولا مزية إلا بحسب الموضع(١١٥).

وصاحب هذه الكفاية التبليغية ينبغي له أن لا يتوقف عند حدود الشكل المتمثل في الصحة النحوية(١١٦)، ولكن عليه أن يغوص إلى أعماق التركيب. وأساس ذلك أن وجوه النظم شتى تأتي على أنحاء مختلفة(١١٧). لأن للمعنى مستويين مستوى ظاهريا يفهم من ظاهر اللفظ(البنية السطحية)، ومستوى باطنيا يتم التوصل إليه من النظم ومن تفاعل الألفاظ وتنظيم العلائق بينها على النحو الذي خلقت فيه معاني غير معهودة مرجعه إلى التحويل الذي عرفته تلك الجملة أو الوحدة الإسنادية. أي يتم التوصل إليه من خلال البنية العميقة.

ولقد كان من مبادئ اعتراض التحويليين على البنية أن في اللغة جملا أو وحدات إسنادية وظيفية يكون للواحدة منها غير معنى. وقد يكون سبب تعدد معنى جملة أو وحدة إسنادية ما(١١٨) أن أحد عناصرها له معان متعددة(١١٩). ولقد أخذ هذا الاتجاه أصوله التأسيسية من الفلسفة الديكارتية التي تقوم على القدرة الإبداعية للعقل الإنساني وما توفره من آلية قادرة على توليد عدد لا يحصى من البنى اللسانية في رحاب التماثل الموجود بالقوة بين الفكر واللغة(١٢٠).

وإن معنى تعلم قواعد لغة ما هو تعلم نظام أو تركيب أو بنى مستقلة عن التراكيب الجاهزة، بل استعمال تراكيب جديدة مبتكرة وهذه التراكيب المبتكرة غير محددة في حين أن الجمل التي يستند إليها الممتلة بالنسبة إليه النماذج محددة ومنتهية، لأن هذا النظام من القواعد يعود عليه بالمقدرة على إنتاج جمل وفهمها دون أن يكون قد سمعها أو عرفها من قبل(١٢١).

والمنوال أو القالب عند "ابن خلدون" يقابل القاعدة التي ينطلق منها صاحب هذه الكفاية حين تحليله التراكيب الإسنادية. يقول "ابن خلدون": "ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم. فاعلم أنها عبارة عن المنوال الذي تتسج فيه التراكيب، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى(...). وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص. وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقى التراكيب الصحيحة باعتبار الإعراب والبيان

فيرصها فيها رصاً كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية لمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه" (١٢٢). فالمتمتع بالكفاية اللغوية ليس مقلداً جملاً سمعها أو حفظها، وإنما هو مبدع تراكيب لم يسمعها من قبل تبعاً للنماذج والقواعد التي يقيس عليها. وينبغي له أن لا يخرج عن سمتها حين بنائها أو تحليلها. ولعل الاحتكام إلى جوهر قضية الاكتساب اللغوي بالاهتداء إلى حقيقة الحدث اللساني التي هي ملكة تروض كما تروض اليد على النجارة أو الحدادة هو الذي قاد "ابن جني" وكل رواد أصول النحو في التراث العربي إلى التأكيد على أن اللغة هي مثالات مجردة تصاغ بالحدود والقوانين، وعنها يتولد بالقياس الكلام المنطوق والمنجز فعلاً. وبذلك يكون "تحصيل الكلام معادلة تصاعديّة بين المنصوص (الأخذ)، والقياس عليه (الابتكار) ومعلوم أن اللفظ المنصوص هو معطى مسلط على الإنسان. وأما صياغة مثله طبقاً لقوابله فهو توليد ذاتي لأنه خلق وإبداع" (١٢٣). وإذن فذو الكفاية اللغوية يبني تراكيب لم يسمعها من قبل توجهه في ذلك المثل والقوابل وحدود إجرائية. إذ إن "النظام الذي اكتسبه المتكلمون على شكل مثل وحدود إجرائية وهم لا يشعرون شعوراً واضحاً لوجودها وكيفية ضبطها لسلوكهم اللغوي لا يكون إلا إذا تأملوها وإن كان هذا التأمل لا يفيدهم شيئاً إذ هو مجرد استبطان إحصائيات التي تتبني على تلك المثل" (١٢٤) أي أن صاحب هذه الكفاية مبدع يؤلف جملاً غير متناهية بالعدد المتناهي من القوابل والنماذج التي ينسج عليها. وأساس ذلك أن المتعلم لا يكتسب هذه المهارة التركيبية (١٢٥) بحكايته لما يسمعه من الكلم والجمل نفسها، بل من حكايته العمليات المحدثّة لها (١٢٦). أي باكتساب الصور لا الألفاظ والتراكيب الإسنادية نفسها. وهذا ما قد لاحظته علماءنا عن النحو (١٢٧). والكفاية اللغوية والتبليغية تحصل بالسماع والقياس والإبداع للمفردات والتراكيب، لأن المتعلم لا يسمع كل التراكيب والبنى "ومعاذ الله أن ندعي أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة قياساً، لكن ما أمكن ذلك فيه قلنا به ونبهنا عليه ممن نحن له متبعون وعلى مثله وأوضاعه حاذون" (١٢٨)، ذلك أن المتعلم لا يسمع كل التراكيب والبنى، ثم إن "ما يقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب. ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك بأسماء كل فاعل ولا مفعول،

وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره" (١٢٩). "وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتكلم باللغة إلا إذا سمع صيغها الأولية في نشأته، فإن سماع تلك الصيغ ليس هو الذي يخلق المقدرة اللغوية في الإنسان، وإنما هو يقدر شرارتها فحسب. وهذا ما يفسر الطابع الخلاق في الظاهرة اللغوية وكذلك طابعها اللامحدود" (١٣٠).

والملكة أو الكفاية التبليغية تحصل بسماع اللغة الصحيحة وتكرارها. حيث إن اللغة الصحيحة تتكون لدى المتعلم بسماعه النماذج الفصيحة ومن المعاشية المستمرة للنطق بها في بيئته اللغوية. وقد كانت هذه هي حالة العربي الأولي الذي تعلم العربية على السليقة حين كان مناخه اللغوي صالحاً لتلقي هذه الملكة". فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيه يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم فيلقفها كذلك، ثم لا يزال سماعه لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستماعه يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم" (١٣١). وهذه المقدرة التي يكتسبها المتعلم بمعايشته أهل اللغة وبإستماعه إلى كلامهم في أغراضهم المختلفة ثم محاكاتهم في النطق والأداء وفي استعمال الكلمات وفي تركيب الجمل والوحدات الإسنادية، وفي اختيار ما يناسب المقام الذي يرومه هي ما يسمى بالسليقة اللغوية. فاللغة العربية إعراباً وبلاغة لم يكن العرب يستعينون على تحصيلها عن طريق معرفتهم قوانينها المخصوصة، بل كان الصبي ينشأ بين قومه يسمعهم يتخاطبون فيحدث لأساليبهم وتراكيبهم في نفسه أثر ثم يتكرر ذلك فيزيد هذا الأثر ويزيد التكرار فتحدث له الملكة التي تجعله ينطق بالصواب وإن لم يقصد أن ينطق به. يؤيد ذلك قول للسيوطي نصح "تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما فهو يأخذ اللغة عنهما على مر الأوقات وتؤخذ تلقناً من ملقن وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقة ذوي الصدق والأمانة" (١٣٢). فمعرفة اللغة العربية السليمة إنما كان كما قال ابن جني: "بالنسبة إلى الأعرابي الفصيح بالقوة لا بالصنعة" (١٣٣) أي أنه يؤخذها بدون تعلم القواعد الخاصة بها. ذلك أن المجتمع إذا كان سليماً في لغته، فإن التعلم منه يكون تلقائياً (١٣٤). ولما لم يكن للمتعم العربي الذي يريد أن يكون سليقياً مناخ صاف ومشرب عذب ينهل منه في عصرنا هذا- حيث إن البيئة الاجتماعية المحيطة بهذا المتعلم بعيدة عن الأداء السليم للغة العربية، فالمنهج

الفطري في تعلم اللغة الفصحى قد فسد على نحو يسجل فيه أن مستعمل اللغة إذا أخطأ لا يجد من حوله من يصوب خطأه- كان من الواجب أن يصطنع لمن يروم تعلم هذه اللغة مجتمع ومناخ يمكنه من اكتساب تلك الملكة اللسانية التواصلية. هذا المجتمع هو مجتمع النصوص. "وهذا المجتمع مصطنع لا محالة، لكنه سليم اللغة، وهو مجتمع النصوص الشعرية والنثرية وحفظها حتى تنتزل منزلة المحيط الاجتماعي" (١٣٥). ولعل هذا المناخ هو الذي يمكن أن يعوض تلاميذنا في الثانويات فقدهم وسيلة السماع الفطرية في تعلم اللغة. ويكمن في حفظ النصوص الجيدة نثراً وشعراً. سندنا في ذلك دعوة ابن خلدون التي جاء فيها "ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة (١٣٦) ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على ألسيبيهم من القرآن والحديث وكلام السلف (...). حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من عاش بينهم" (١٣٧). إذ إن من عوامل ترسيخ الملكة أو الكفاية التبليغية محاكاة النصوص الجيدة التي تقدم نموذجاً يقتدى به وينسج على منواله.

والقواعد النحوية التي تعد الحارس الأمين لهذه الكفاية (١٣٨) يرى ابن خلدون أنه لكي تكون ذات منفعة ينبغي أن تدرس عن طريق النصوص الرفيعة. يستشف ذلك من قوله الذي استشهد فيه بكتاب سيبويه الذي جاء فيه "وقد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيراً بهذه الملكة وهو قليل، (...). فإنه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراته فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة" (١٣٩). وبعد عرض الصور والنماذج وفهمها تأتي مرحلة النسخ على منوالها، والبناء عليها حتى يصبح من يريد الحصول على هذه الكفاية التبليغية اللسانية بمثابة الذي حصل عليها في المجتمع الفصيح الناشئ عليها وكثرة الحفظ من الكلام الجاري على ألسيبي العرب مدعاة ارتسام صورة المنوال والصور المنسوجة عليها تلك التراكيب فينسج هو عليها ويكون ذلك بمنزلة من نشأ معهم. ومفهوم السمع عند ابن خلدون هو هذا المحيط الاجتماعي الذي يتم فيه الاتصال بين أفرادهم. فإذا طرأ انحراف على عفوية هذا المجتمع وجب استعاضته بطريقة اصطناعية تحقق الغرض الذي كان يؤديه المجتمع الفطري. وهذا يكون فيما يتعلق بمجتمعنا العربي بحفظ البليغ من الأقوال ومخالطتها وممارستها والاحتكاك بها كما

لو كنا نعيش فيها حياة يومية متواصلة. وكل ذلك يكون قائماً على الحفظ، ولكن لا على الحفظ وحده، بل على الحفظ والفهم والاستعمال.

و يعد القرآن أكثر النصوص تحقيقاً للسليقة اللغوية. ولغته بالنسبة إلينا هي اللغة المنطوقة بالفعل وينبغي لنا احتذاؤها والنسج على منوالها فهي تمثل المناخ البديل (١٤٠) قال ابن خلدون "وأما المخالطون لكتب المتأخرين العارية عن ذلك (١٤١) إلا من القوانين النحوية مجردة من أشعار العرب وكلامهم فقل ما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة" (١٤٢). والمعلمون الأولون قد استطاعوا أن يقفوا تلاميذتهم على مقومات اللسان العربي وأسراره البيانية عن طريق حفظ النصوص الجديدة ومكنوا من أن يفرسوا فيهم ما يسمى السليقة اللغوية مما جعلهم يتمثلون قوالبها تمثلاً رائعاً على نحو أصحابها فيه كأنهم عرب أقحاح على الرغم من أن كثيراً منهم لم يكونوا كذلك (١٤٣). ومن الخطأ تصور عملية التكلم وكأنها عملية حفظ أمثلة واستعمالها للتواصل والتعبير عن الذات كما تذهب إلى ذلك المدرسة السلوكية البنوية (١٤٤) التي ركزت اهتمامها الكبير على الأساليب التعليمية الميكانيكية (١٤٥)، وأهملت أهم خصيصة حيا الله بها الإنسان وهي العقل. فهي أي البنوية تدرس المستوى السطحي (١٤٦) للكلام، ولا تخوض في المستويات العميقة له ولا تحاول تفسير آلية التكلم عند مستعمل اللغة (١٤٧). بينما نجد أن النحويين العرب والتحويليين يلتقون في أن ابن اللغة لا يمكن له أن يفيد عن لاوعيه الذي يصدر عنه في سليقته (١٤٨) لذلك نجد نسيان المحفوظ الذي يدعو إليه ابن خلدون بقوله "على الناشئ بعد الحفظ أن ينسى ما حفظ" (١٤٩).

ثانياً - التحويل:

سبق أن أوضحنا أن التفاعل الصحيح مع مفهوم التحويل هو وحده الذي يؤدي إلى جعل الأحكام القائمة عليه صحيحة.

لما كانت الكفاية اللسانية والتبليغية هي المنشودة من تعلم النحو الذي يعني الانتحاء، وهذه الكفاية تشمل مستويين للانتحاء: انتحاء البنى والتراكيب الإسنادية التوليدية، وانتحاء البنى والتراكيب المحولة، هذه التراكيب التي تستعمل في التواصل الراقى، فإنه من الأهمية بمكان أن يكون مستعمل اللغة على بصيرة بالتحويل الذي

يمس البنى والتراكيب الإسنادية في لغتنا العربية. فما مفهوم التحويل؟ في مبتدأ الأمر نلفت الانتباه إلى أن مفهوم التحويل الذي اكتسب شهرة واسعة بعد ظهور مدرسة "النحو التحويلي التوليدي" على يد تشومسكي يقترب من مفهومه في الدرس العربي القديم.

وإن النظرية النحوية التي أوجدته تعاملت بمفهومه هذا في تفسير كثير من الوحدات الإسنادية والجمل دون التصريح به. ولم تصرح به مصطلحاً إلا في تراكيب إسنادية محدودة (١٥٠). والتحويل "وسيلة للوصف والتحليل والتفسير" (١٥١). و"إن عمليات التحويل تقلب البنيات العميقة إلى بنيات ظاهرة دون أن تمس بالتحويل أي بالتأويل الدلالي (التفسير الدلالي) الذي يجرى في مستوى البنيات العميقة" (١٥٢) حيث "إن التركيب الباطني يعطي المعنى الأساسي للجملة (١٥٣)" أو الوحدة الإسنادية. وإن اللجوء إلى البنية العميقة في النحو العربي إنما كان لتفسير الأبنية والتراكيب التي تعترها بعض التحولات في سعة الكلام ونظمه، من مثل الحذف، والتقديم، والتأخير وغيرها (١٥٤) ونحاة العربية هم أول من لجأ إلى التقدير (١٥٥) ولم يكن تقديرهم متأثر من المنطق الأرسطي (١٥٦). فالتحويل يحصل عندما يحاولون تفسير الكثير من الأبنية الملبسة التي لم تأت على بناء نظائرها (١٥٧) في الإعلال والإبدال (١٥٨). "والقول بالعامل والتقدير لتعليل يتجاوز الوصف الظاهري لنظام اللغة" (١٥٩) والتحويل هو تحويل جملة أو وحدة إسنادية إلى أخرى (١٦٠). "ويقصد به في النحو التوليدي التغيرات التي يدخلها المتكلم والمستمع على النص، فينقل البنيات العميقة المولدة من أصل المعنى إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام" (١٦١). وقد اختلف النحويون في هذه التراكيب المقدره من ناحية تحديدها، واختلفوا في طرق تحويلها إلى بنية السطح (١٦٢).

فهو عملية تغيير تركيب لغوي إلى آخر بتطبيق قانون تحويلي واحد أو أكثر، مثل التحويل من جملة إخبارية إلى جملة استفهامية. إنه وصف العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية (١٦٣). وليس التأويل والتقدير اللذان رفضهما أصحاب الاتجاه الوصفي إلا ضبطاً للعلاقة التي بين التركيب الظاهر والبنية العميقة التي هي "الأصول التي تنتظم بنية التركيب" (١٦٤) عند العرب (١٦٥).

مفهوم التحويل في النحو العربي:

إذا كان التحويل في النحو التحويلي قائماً على أساس أن لكل تركيب إسنادي (جملة أو وحدة إسنادية وظيفية) بنيتين: إحداها عميقة والأخرى سطحية، وكان لا بد من التحويل بقواعده المختلفة لكي يقوم بدور نقل البنية العميقة من عالم الفكرة المجردة إلى عالم التحقق الصوتي، فإن هذه الفكرة نفسها التي أدت إلى ضرورة التحويل قد وجدت بشكل آخر في النحوي العربي. ولكن النحويين العرب حين تناولهم فكرة الموازنة بين العمق المقدر والسطح الظاهر، وانتهوا إلى أن هناك نموذجاً أو معياراً أو أصلاً تجردياً في الغالب يحاول الكلام الحي تنفيذه وإخراجه إلى حيز الوجود، وخلصوا إلى أن النموذج المجرد أساس للآخر فحاسبوا الكلام المنطوق بمقياس هذا النموذج المجرد، فإنهم رأوا أن ليس هنالك لكل تركيب إسنادي بنيتين إحداها عميقة والأخرى سطحية، وإنما التركيب الإسنادي الذي يقتضي بنيتين هو التركيب المحول الذي يكون ظاهره ملبساً. فالجملة التوليدية أو الوحدة الإسنادية الوظيفية التوليدية (الواردة عناصرها على أصلها) (١٦٦) لا تحتاج إلى بنية عميقة. وكذلك الصيغة الصرفية التي لم يقع فيها تحويل من نحو الإعلال والإبدال لا تحتاج إلى بنية عميقة. وإذا كان مصطلح "البنية العميقة" غير مطرح به في معالجة النحاة العرب للتراكيب الإسنادية المحولة، فإن مفهومه كان حاضراً في معالجتهم تلك. وجاء التعبير عنه بطرائق مختلفة من نحو قولهم "أصله كذا"، أو "قياسه كذا"، أو هو "على تقدير كذا"، أو "تأويله كذا"، أو "على نية كذا". وهي كلها تعني أن هناك بنية عميقة وراء البنية السطحية المحولة (١٦٧).

وقد استعمل مفهوم البنية العميقة في التفريق بين معاني التراكيب الإسنادية في الصيغ العربية التي يكون ظاهرها ملبساً فكان مفهوم البنية العميقة هو المؤدي إلى إزالة هذا اللبس (١٦٨).

وما يذهب إليه النحويون في باب تمييز الجملة يعد مثلاً واضحاً على التحويل الذي ورد صراحة حيث يقول "الأشموني" في حد تمييز الجملة "فتمييز الجملة رفع إبهام ما تضمنته من نسبة عامل فعلاً كان أو ما جرى مجراه من مصدر أو وصف أو اسم فعل إلى معموله من فاعل أو مفعول نحو" طاب زيد نفساً " (واشتعل الرأس شيباً) (١٦٩).

فالتمييز محول عن الفاعل والأصل (١٧٠) "طابت نفس زيد"، واشتعل شيب الرأس" (١٧١). والجملة المحول عنها ليس من اللازم أن تكون افتراضية بحتة أو تجريدية خالصة لا يتكلم بها، بل قد يكون من الجمل التي يمكن استعمالها ولكن يعدل عنها لغرض من الأغراض المختلفة التي قد ترجع إلى الإلف وكثرة الاستعمال أو إلى الاستخفاف كما أشار سيبويه في قوله: "وذلك قولك امتلأت ماء وتفقت شحماً (...)" وإنما أصله امتلأت من الماء وتفقت من الشحم. فحذف هذا استخفافاً (١٧٢). والبنية العميقة قد تتعدد. فالجملة الفعلية "تفقاً زيد شحماً" يرى بعضهم أن بنيتها العميقة "تفقاً شحم زيد"، ويرى آخرون أن بنيتها العميقة "تفقاً زيد من الشحم". وهذا الاختلاف في تحديد الجملة المحولة عنها لا ترفضه النظرية اللسانية الحديثة، بل تراه مسوغاً مقبولاً ما دام المفسر يشرح كيف أثقلت الجملة من تركيب البنية العميقة إلى البنية السطحية (١٧٣). ومعظم خلافات النحويين كانت حول تقدير البنية العميقة أو حول القواعد التحويلية التي تحكم تحول البنية العميقة المقدر إلى البنية السطحية (١٧٤).

"ولم يكن النحويون مجانين الصواب كما اتهمهم بذلك كثير من الباحثين الذين لا يقرونهم على فكرة الأصل والتفريع هذه استجابة لآراء المدرسة الوصفية التي ترى في ذلك بحثاً ميتافيزيقياً لا يعتمد على مبدأ علمي سليم. غير أن المنهج التحويلي رأى أن مسألة الأصلية والفرعية مسألة أساسية في فهم البنية العميقة وتحولها إلى بنية سطحية (١٧٥). والتحويل هو إجراء الشيء على الشيء. وإجراء الشيء على الشيء هو عين التحويل بما أن المحول والمحول له متكافئان. وهو من وجهة نظر المنطق في الرياضيات الحديثة تكافؤ غير اندراجي، وهو هذا الذي يحصل عليه بالقياس.

والتحويل عند العرب تحويلان: تحويل يبحث به عن تكافؤ البنى (توافق البناء عند العرب) وهو الأهم، وتحويل تفسر به الشواذ (١٧٦) بواسطة ما يعرف بـ"نظرية الحمل" (١٧٧). وهو السلسلة من التحويلات التي يتوصل بها من الأصل الذي كان ينبغي أن تكون عليه هذه الشواذ إلى الصورة المستعملة للجملة أو الوحدة الإسنادية (١٧٨) أو الصيغة الصرفية في صيغتها النهائية (١٧٩). وهذه القواعد التحويلية قد تكون بالحذف أو الاستبدال، أو بالإضافة، أو إعادة الترتيب وغير ذلك. وقد تكون هذه القوانين اختيارية. وقد تكون إجبارية. وفي كل حالة ينبغي أن يجري تطبيق القوانين التحويلية

على تركيب من الممكن تحليله إلى عناصر سبق ظهورها في التركيب الباطني. أي لابد من وجود وصف تركيبى قابل للتحليل استناداً إلى عناصر التركيب الباطني. وهذا الشرط ضروري للسيطرة على القوانين التحويلية وحصر استعمالاتها(١٨٠). وهذه النظرية التحويلية تهدف إلى تحديد قواعد اللغة كلها، وإلى بناء نموذج لآليتها انطلاقاً من الفرضية التي تقر بمقدرة المتكلم المستمع على أن ينتج عدداً غير متناه من جمل لغته ويفهمها(١٨١). ذلك أن الأساس النظري الذي انطلقت منه هذه النظرية يقوم على مبدأ يقرر أن مهمة الوصف اللغوي هي أن تفسر لغة المتكلم المستمع الفعلية وسليقته أو قدرته اللغوية ومعرفته بهذه اللغة(١٨٢). واللافت للانتباه أن التحويل مثل ما يمس الجملة أو الوحدة الإسنادية يمس أيضاً الصيغة الصرفية، إلا أن التحويل في البنية التركيبية يتبعه بالضرورة تحول في المعنى. أما التحويل في البنية الصرفية فقد يكون وظائفياً، وقد يكون لغرض التخفيف الذي تنشده اللغة العربية حين يسجل تنافر بين أحرف الكلمة(١٨٣). في نحو التحويل الذي نقف عليه في الإبدال والإعلال في مستوى الكلم(١٨٤). وهذا التحويل لا يغير عن المعنى لأنه مجرد تمثيل لما يترتب من التعبير اللفظي إذا حمل ظاهر اللفظ على أصله الذي يقتضيه القياس (أي الباب الذي ينتمي إليه هذا اللفظ)، وهذا النوع من التحويل كان يسميه النحاة التصريف وقد بنوا على ذلك ما أسموه بمسائل التصريف(في مستوى الكلم) "وهو عبارة عن نظام ابستيوماتيكي لصناعة العمليات التحويلية المذكورة"(١٨٥).

ثنائية التحويل:

للتحويل نوعان: تحويل جذري، وتحويل محلي.

١- التحويل الجذري:

"وهو التحويل الذي ينقل المركب الاسمي(١٨٦) إلى رأس الجملة ثم يعلقه بالعقد الأساس. ولذا فإنه ينتمي إلى مجال التحويلات الجذرية" (١٨٧) وهي تلك التحويلات التي أطلق عليها الجرجاني مصطلح "التقديم لا على نية التأخير(١٨٨). يقول الجرجاني: "أعلم أن تقديم الشيء على وجهين تقديم يقال له إنه على نية التأخير(. . .) وتقديم لا على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم وتجعل له

باباً غير بابيه وإعراباً غير إعرابه(. . .) مثل ضربت زيداً ، وزيد ضربته ، لم يقدم زيداً على أن يكون مفعولاً منصوباً(. . .) ولكن على أن ترفعه بالابتداء" (١٨٩).

وهو الذي ينتقل فيه المسند إليه من مكان داخل الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية إلى مركز الصدارة متخلصاً من أثر الفعل الذي كان العامل الأساسي فيه من نحو: (والله لا يحب الفساد)(البقرة/٢٠٥). ذلك أن لفظ الجلالة "الله" في هذه الجملة لا يخضع وظيفياً للفعل "يحب" ، وإنما العامل فيه هو الابتداء(١٩٠).

ومن خلال التحليل النحوي العربي للجملة الواردة في تلك الآية نلاحظ أن الجملة الاسمية المركبة(١٩١) تختلف جذرياً عن الوحدة الإسنادية الفعلية المضارعية المنفية (١٩٢) الواردة في قوله تعالى: (قال لا أحب الآفلين)(الأنعام/٧٦). لأن التركيبين الإسناديين "والله لا يحب الفساد" ، و"لا أحب الآفلين" يعبران عن مواقف كلامية مغايرة تماماً كما انتهى إلى ذلك سيبويه وأمثاله حين تحليلهم مثل هذين التركيبين الإسناديين (١٩٣).

يؤكد ذلك سيبويه بقوله: "فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت زيد ضربته فلزمته الهاء ، وإنما تريد بقولك مبني عليه الفعل أنه في موضع (منطلق) إذا قلت (عبد الله منطلق) ، فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به (. . .) ومثل ذلك قوله جل شأنه: (وأما ثمود فهديناهم)(فصلت/١٧). وإنما حسن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملاً في المضمر وانشغل به" (١٩٤).

وأساس ذلك أن من الشروط البنوية التي يجب توفرها في هذا النوع من التراكيب إجبارية الضمير العائد لأن الفعل لا بد له من اسم يشتغل به. "إذ لا تعرف اللغات فعلاً بدون شخص" (١٩٥) أي بدون فاعل. ذلك أن الضمير العائد على المبتدأ المتصل بالفعل إجباري. ولولا ذلك لم يحسن كما رأى ذلك سيبويه(١٩٦). وهذا الضمير يعمل على المحافظة على سلامة البناء ، وذلك بربط الخبر بالمبتدأ(١٩٧). وهذا التحويل الجذري اعتمد عن طريق التفكيك. يقول "الفهري": التفكيك نوعان: باعتبار الجهة تفكيك إلى اليمين كما في الجملة "زيد ضربته" ، وتفكيك إلى اليسار كما في الجملة "ضربته زيد" (١٩٨).

فالتفكيك إلى اليمين كان جذرياً، حيث تغير الاسم بالارتفاع وتحولت الجملة إلى جملة اسمية داخلية في إطار التحويل عن طريق التبئير. ولو أردنا أن نحلل الجملة الواردة في الآية السالفة الذكر لوجدنا أنها لا تختلف بنوياً عن جملة "اللّه غير محب الفساد" وهي:

١- اسم + حرف النفي + فعل المضارع + ضمير(هو) + مفعول به.

٢- اسم + اسم نفي + اسم مشبه بالفعل(وصف) مؤد وظيفة المضاف إليه + ضمير + مفعول به.

والاختلاف بينهما دلالي توفره زيادة الصيغة الزمنية بالنسبة إلى الفعل في الجملة الأولى(١٩٩). بينما يفتقر إلى ذلك الاسم المؤدي وظيفة الخبر في الجملة الثانية. يقول ابن يعيش: "زيد ضارب، وعمرو مضروب، وخالد حسن، ومحمد خير منك. ففي كل واحد من هذه الصفات (٢٠٠) ضمير مرفوع بأنه فاعل(٢٠١) لا بد منه لأن هذه الأخبار في معنى الفعل"(٢٠٢).

٢- التحويل المحلي:

وهو ما يعرف بالتقديم على نية التأخير أو الرتبة غير المحفوظة(٢٠٣)، مع مراعاة التغيرات الدلالية الحاصلة في كل مرة.

يقول الجرجاني: "أعلم أن تقديم الشيء على وجهين تقديم يقال له إنه على نية التأخير وذلك في كل شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل"(٢٠٤). فالجملة الفعلية الواردة في قوله تعالى: (والموتفكة أهوى)(النجم/٥٣). هي جملة فعلية محولة تحويلاً محلياً بنيتها العميقة "أهوى الموتفكة" جرى عليها عنصر من عناصر التحويل وهو الترتيب بتقديم المفعول به "الموتفكة" على نية التأخير(٢٠٥) للعناية والاهتمام، أو الاختصاص(٢٠٦). وبعضهم قسم التحويل إلى سطحي وعميق.

فالتحويل السطحي وهو الأبسط والأهم وظيفياً والأكثر تداولاً في الكلام يتبدى في أربعة أقسام:

١ - التحويل بالترتيب.

٢- التحويل بالزيادة

٣- التحويل بالحذف

٤ التحويل بالاستبدال.

ويدون مراعاة صور التحويل الواقع في التراكيب الإسنادية (الجمل أو الوحدات الإسنادية) المحولة باهتمام وعناية بالعودة إلى البنية العميقة كذلك التراكيب الإسنادية (أي الأصل الحقيقي أو المفترض) يكون من العسير فهم تلك التراكيب الإسنادية الواردة على غير أصلها (أي المحولة) ويكون من الصعب تفسير عقدها بدقة وسلامة (٢٠٧).

أما التحويل العميق فهو ذلك الذي ينطبق على التراكيب التي وقع تحويل في وظائف كلماتها من الإسناد إلى التخصص من نحو التحويل الجاري في تمييز النسبة (٢٠٨).

وقبل أن نعرض لصور التحويل في الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية يحسن بنا أن نقف عند مسألة ذات علاقة وثيقة بالتحويل تتمثل في الآتي ذكره:

١- أصول التعليل والتفسير:

اللافت للانتباه أن اللغة ليست في استعمالاتها المختلفة مرايا عاكسة للقاعدة النحوية تظهر انطباق كل حد نحوي على محدودته انطباقاً تاماً. إذ تحتاج بعض صور استعمال المحدود إلى تعليل يعيدها إلى حيز الحد النحوي لينطبق حكم الحد على المحدود، وتتوافق صور استعمال المحدود مع الحد. ولعل أبرز صور التوافق في النحو (توافق البناء عند العرب) التي يبحث فيها عن تكافؤ البنى (٢٠٩) الآتي ذكره:

٢- العوارض التركيبية:

وهي أن تقع الوحدة الإسنادية الوظيفية موقع الكلمة المفردة التي يظهر عليها أثر الحكم النحوي في الأصل وقوعاً استبدالياً يسمح بتحقق صورتين: الفرع والأصل في الاستعمال اللغوي. فهذه الوحدة الإسنادية الوظيفية حين وقوعها موقع المفرد في بعض الاستعمال يحكم عليها بإعراب في موقعها بحسب إعراب المفرد الذي وقعت موقعه

فهي لا تفيد بنفسها. ويفسر النحويون هذا التناوب في الموقع بين الكلمة المفردة والوحدة الإسنادية الوظيفية التي تنوب عنه بتقدير الوحدة الإسنادية الوظيفية في محل الاسم المفرد وحكمه، وأساس ذلك أن المفرد هو الأصل (٢١٠) فتكون الوحدة الإسنادية الوظيفية عارضة. قال الجرجاني: "إن الجملة (٢١١) لها إعراب لنيابتها عن المفرد" (٢١٢). وهذا التعليل فيه لمح لفكرة "الخانية". فما يقع في خانة واحدة يأخذ حكماً واحداً وإن تعددت صور استعماله (٢١٣). فالوحدات الإسنادية الوظيفية التي تنوب عن المفرد لا يمكن أن تعد جملاً لعدم إفادتها بنفسها فهي مثل المفرد لها صور مختلفة تنطبق عليها فكرة الخانية. سواء أكانت هذه الوحدات الإسنادية مشتملة على موصول حريفة أم موصول اسمي أم مجردة منهما. وسواء أكانت اسمية أم فعلية. حيث تفسر هذه الوحدات الإسنادية التفسير نفسه الذي يأخذه المفرد. قال ابن عصفور: "يجوز أن تنوب أن واسمها وخبرها، وأن الناصبة للفعل والفعل المنصوب بها مناب المفعولين من باب ظننت" والمفعولين: الثاني والثالث من باب أعلمت. "ولا يسد في غير ذلك إلا مسد اسم واحد" (٢١٤). ويعني ذلك إحلال هذه الوحدة الإسنادية الوظيفية محل المبتدأ، أو المفعول به، أو الخبر، أو النعت، أو الحال، أو المستثنى أو المضاف إليه، والفاعل ونائبه.

٣- اللوازم التركيبية:

وينبغي لمدرس النحو أن يعرف اللوازم التركيبية. وهي أن يقع اللفظ في الجملة (٢١٥) موقفاً لازماً ليس له حق الأصالة فلا يجوز استعمال الأصل من غير خرم الجملة لفظياً أو معنوياً لنيابته عنه (٢١٦) من ذلك أن بعض الحروف تنوب عن المعنى الوظيفي لها. ف"إن وأخواتها تنوب عن الأفعال "أؤكد"، و"أرجو" وعن الفعل "أتمنى" و"أشبه"، و"أستدرك" كل حرف ينوب عن الفعل الذي يناسبه في المعنى (٢١٧) والأداة "إلا" تنوب عن الفعل "أستثنى" (٢١٨). وتقدير المعنى اللازم وسيلة لتفسير الحكم الإعرابي. ففائدة تقدير "إن بمعنى" "أؤكد" تفسير نصب اسمها. ولا يعني ذلك أن الفعل المقدر يصح ظهوره لأن ذلك يؤدي إلى تصيير الجملة الاسمية فعلية. ويمكن عد حمل علامات الإعراب الفرعية على علامات الإعراب الأصلية من صور التلازم التركيبية (٢١٩).

٤- حفظ أصل التركيب:

لكل عنصر من عناصر الجملة أو الوحدة الإسنادية حرية التقديم أو التأخير ما لم تتعارض هذه الرتبة مع أي أصل آخر من أصول التركيب فيها. فلا يجوز تقديم الفاعل على فعله، لأنه لو تقدم على الفعل لصار مبتدأ في اللفظ (٢٢٠) ذلك أن الأصل في تركيب الجملة الفعلية التوليدية أن يأتي المسند ثم المسند إليه. والأصل في تركيب الجملة الاسمية التوليدية أن يأتي المسند إليه ثم المسند الذي ينبغي أن يكون مفرداً نكرة. ولهذا إذا تقدم الفاعل على فعله دخل في أصل تركيب الجملة الاسمية التحويلية وبوجوب حفظ أصل التركيب يرجع اللبس. ومنع تقدم الخبر الوارد وحدة إسنادية فعلية على المبتدأ واجب لئلا يدخل الخبر المقدم في أصل تركيب الجملة الفعلية. ولعل سبب وجود حفظ أصل التركيب في أفاظ الصدارة هو المعنى. لأن من وظائف أفاظ الصدارة نقل معنى الجملة من معنى إلى آخر كنقل "ليت" الجملة الاسمية إلى التمني ونقل أدوات الاستفهام الجملة من الخبر إلى الاستخبار. ولا يتقدم المستفهم عنه أداة الاستفهام لأن لها مرتبة التصدر" (٢٢١).

٥- أصل أمن اللبس:

ويقوم على مقصد مهم من مقاصد اللغة وهو الإفادة. فتحقيق "أمن اللبس أهم ما تحرص عليه اللغة" (٢٢٢). لأن اللغة الملبسة لا تصلح أن تكن وسيلة للتفاهم والتخاطب (٢٢٣) فاللبس بأي صورة من صورته محذور (٢٢٤) لأنه يتنافى مع مقاصد اللغة في التعبير عما يختزنه الإنسان من أفكار تعبر عن حاجاته المختلفة. سواء أكان هذا الإنسان مرسلأ أم مرسلأ إليه. ولأمن اللبس في النحو حورية في إدارة وجوه الكلام تقديماً وتأخيراً، وحذفاً، وزيادة (٢٢٥). ويدور في أمن اللبس تلك عدة صور تطبيقية في الدرس النحوي تجعل منه أصلاً من أصول التعليل في إطار النحو. لأن أمن اللبس مطلب أساس من مطالب الموقف الكلامي الحي عند مستعملي اللغة. وأهم هذه الصور التطبيقية المسوغات. وهي علل تجيز كسر قاعدة الباب العامة من نحو التقديم والتأخير والتعريف والتكثير والذكر والحذف في الجمل والوحدات الإسنادية الوظيفية المحولة (٢٢٦). ولقد ربط "العكبري" مسوغات حذف المبتدأ والخبر جوازاً بأصل "أمن اللبس" فقال "وإنما يسوغ حذف هذا المبتدأ أو الخبر في موضع يعلم أنه مراد من غير لبس"

(٢٢٧). ذلك أن من مسوغات أمن اللبس دلالة الحال. ولقد أدرك نحاة العربية حين وصفهم قواعدها أن اللغة نشاط اجتماعي(٢٢٨) يشمل العلاقة الاجتماعية بين المرسل والمرسل إليه، وكيفية التعامل الاجتماعي الكلامي ونوعيته في التواصل (٢٢٩)، لما أدركوا ذلك كله انتهوا إلى أن القرائن الحالية قد تغني في الجملة أو الوحدة الإسنادية عن اللفظ (٢٣٠). "فإذا كان المعنى مستدلاً عليه من قوة الكلام فلا يحتاج إلى الجملة (٢٣١) الدالة عليه(٢٣٢). وأساس ذلك أن دلالة الحال علة اجتماعية واضحة في أعمال النحويين، تتجلى بوضوح في كتاب سيبويه والمصنفات النحوية(٢٣٣) التي اتخذت من حال الكلام منطلقاً من منطلقات التقييد والتفسير. فحذف الخبر بعد "لولا" الشرطية الامتناعية مسوغه دلالة الحال عليه(٢٣٤). أي أن الخبر مدلول عليه من الكلام. حيث إن "العلم بالمحذوف علة لأصل الحذف" (٢٣٥).

والتعليل يعد جزءاً من التفسير. فالنظرية اللسانية عند الفاسي الفهري "بناء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عدد من الظواهر الملحوظة بقوانين خاصة تكون مجموعة متسقة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التفسير"(٢٣٦). والتفسير يتجاوز الوصف والتقرير فهو مفهوم شامل يفسر النظام اللغوي من حيث المفاهيم النحوية كالحالة الإعرابية والتطابق والتقدير والحذف والزمن(٢٣٧). والتعليل شكل من أشكال الكفاية اللغوية(٢٣٨) هدفه "التعرف على أسرار الحكمة التي تضي نوعاً من التنظيم المتناغم على لغة العرب"(٢٣٩). والذي ضاعف من اهتمام النحاة بالبحث عن علل العربية نزول القرآن بها على نحو معجز في النظم(٢٤٠) على مختلف مستوياته.

والحديث عن التعليل والتفسير يقودنا إلى الحديث عن المعيارية لأن المعيارية وسيلة ناجحة في تعلم النحو. ذلك أنه لما كان مستعمل اللغة لا يستطيع سماع اللغة الكاملة كان بحاجة مسيسة إلى معيار يجعل ما يقوله بمنزلة ما يسمعه(٢٤١).

وطرد المعيار يقتضي في بعض المواضع العودة إلى البنية العميقة، لأن المعيار ثابت ليس له إلا صورة واحدة غالباً. فالوحدات الإسنادية المؤدية وظيفية ما من نحو الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفية المبتدأ، أو الخبر، أو النعت، أو الحال، أو المضاف إليه، أو المفعول به، أو الفاعل بنياتها العميقة إما مصدر صريح، وإما مشتق (وصف) لأن الأصل

فيها هو المفرد. ولا تتحقق صورة المفرد إذا جاء وحدة إسنادية إلا باللجوء إلى بنيته العميقة فيكون طرد المعيار في العودة إلى البنية العميقة لهذه الوحدة الإسنادية المؤدية تلك الوظيفة.

ثم إن النحو العربي قد قام على ركيزتين أساسيتين هما الوصف والتفسير(٢٤٢). فالوصف تمثل في تجريد قواعد تم التوصل إليها من خلال استقراء نصوص الاحتجاج المقبولة أما التفسير فهو اجتهاد من النحوي يرمي إلى تعليل القاعدة المستخلصة من الوصف وتفسيرها. وهذا التعليل اجتهاد من النحاة قال فيه سيوييه: " وليس شيء مما يضطرون (٢٤٣) إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً" (٢٤٤). ونحاة العربية كانوا يهدفون إلى الارتقاء بالنحو العربي من مستوى (الوصف) الممثل في الملاحظات إلى مستوى التفسير والتعليل. إيماناً منهم أن " وظيفة العالم تفسير الظاهرة لا الوقوف عند وصفها" (٢٤٥) إذ إن أعلى مستويات البحث العلمي هي تفسير الظاهرة بضروب التعليل المختلفة - ثم إن التعليل والتفسير مرتبطان بالتعليم لذلك فإن على مدرس النحو أن يدرك ما للتعليل من أهمية في عملية التعلم. حيث إن التعلم الفاعل للنحو يتكئ على معيارين اثنين كما سبق أن ذكرنا(٢٤٦).

واللافت للانتباه أن ثمة نوعين من التعليل، تعليل في إطار النحو يستخدم القياس وسيلة لتسويغ الحكم النحوي وتأمينه. وهذا التعليل يعد جسراً يربط بين الأصل النظري وصورته العملية المستعملة في اللغة (٢٤٧) كأن يأتي المبتدأ في الجملة الاسمية التحويلية وحدة إسنادية مضارعية (٢٤٨).

وتعليل في إطار نظرية النحومبني على تصور النظرية النحوية التي قبل أن تعلل ما هو كائن من الاستعمالات اللغوية تعلل ما كان يجب أن يكون، لأنها بناء نظري لنحو العربية.

وإذا كان النحويون قد قسموا العلل إلى تعليمية وقياسية وجدلية، فإن العلل التعليمية والقياسية هي التي تفيد المتعلمين في الأحكام الإجرائية حين تعلم النحو بالمفهوم المشار إليه آنفاً(٢٤٩).

أنواع التحويل:

١- التحويل بالاستبدال:

إذا كان من أصول البنوية "التوزيع"، وهو منهج في التحليل اللغوي اتخذته مدرسة "بلومفيلد" يقوم بتوزيع وحدات لغوية بطريقة استبدال وحدة لغوية بأخرى لها السمات التوزيعية نفسها (٢٥٠)، وإذا كان التحويليون يعتمدون مثل البنويين على مقياس التكافؤ، وهو صلاحية قيام الشيء مقام الشيء (الاستبدال في الاصطلاح اللساني الحديث)، فإن النحاة العرب يبحثون عن مكانة المحول ودوره الذي يؤديه في الجملة أو الوحدة الإسنادية التي ينحصر فيها. والاستبدال هو إمكانية إقامة وحدة لغوية أو وحدة إسنادية مقام وحدة لغوية أو وحدة إسنادية أخرى لأن الشيء المقام مقام الشيء بما أنه وحدة دالة فهما (٢٥١) من قبيل واحد تماماً (٢٥٢).

"والاستبدال باب من أبواب التكافؤ من حيث جمعه كل العناصر التي يمكن أن يستبدل بعضها ببعض في سياق معين. والعلائق الاستدلالية هي علائق قياسية (٢٥٣) فما يقع في خانة واحدة يأخذ حكماً واحداً وإن تعددت صورته (٢٥٤)، يقول ابن فارس "من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ" (٢٥٥). واللافت للانتباه في هذه المسألة هو أن البنية السطحية والبنية العميقة متكافئتان في اللفظ ولكنهما مفترقتان في المعنى. والتحويل بالاستبدال يشمل كل الوحدات الإسنادية الوظيفية المؤدية وظائف المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل والمفعول به والنعته والحال والمضاف إليه والمستثنى. فهي كلها استبدلت بمفرد يرتد إلى مصدر أو مشتق. وقبل أن نقف على صور التحويل بالاستبدال وددنا لو نقف على نموذجين من التراكيب الإسنادية المحولة بهذا النوع وهما:

١- الوحدة الإسنادية المحولة عن المصدر (أي التي أصلها مصدر):

إذا كان التحويل هو إجراء الشيء على الشيء. وإذا كان بعضهم يرى أن التأويل معناه إرجاع الشيء إلى أصله، فهل يمكن أن نقول إن الوحدة الإسنادية الوظيفية المؤلفة من الحرف المصدرية وعناصر الإسناد (المصدر المؤول) سميت كذلك لأنها ترجع في أصلها إلى المصدر الصريح ٥. والحق إن مثل هذه الوحدة الإسنادية (المصدر المؤول)

وضعت للدلالة على معنى نحوي يفترق عما يدل عليه المصدر الصريح. فقوله تعالى: (وأن تصوموا خيراً لكم) (البقرة/١٨٤). يلاحظ أن الوحدة الإسنادية المضارعية "وأن تصوموا" تفترق في الدلالة عن المصدر المؤولة به "صومكم". والعجيب أن بعض الباحثين يذهب إلى أن المصدر المؤول يعود إلى المصدر الصريح عوداً تاماً، فيعزب عن شرح معنى التأويل المراد في المصدر المؤول فيقول "أظن أنه من نافلة القول أن أشرح معنى المؤول، فإن الاسم نفسه يشعر بأنه قد تأول إلى مفرد فيقع موقعه الإعرابي" (٢٥٦).

إن مفهوم الدكتور "محمد عيد" للمصدر المؤول غير دقيق لأن فيه تركيزاً عن الجانب الواقعي ممثلاً في استبدال هذا المصدر المؤول بالمفرد، ولأنه تصور لفهم جوانب التركيب الإسنادي المكون من الحرف المصدرية ومدخوله (٢٥٧) قائم على مجرد اتضاح تأويل ذلك التركيب بمفرد. ولو أننا وقفنا نفهم المصدر المؤول عند هذه النقطة لكان من اللازم أن يكون بينه وبين المصدر الصريح تطابق تام، وهو ما لا نستطيع التسليم به.

والمصدر المؤول - فيما نعلم - لم يجد من النحاة من الاهتمام به أكثر من كونه موصولاً حرفياً يدرس غالباً في باب الموصول، كما هي الحال في "كافية ابن الحاجب" التي جاء فيها ما نصه "وحد الموصول الحرفي ما أول مع ما يليه من الجمل (٢٥٨) بمصدر (٢٥٩) كما يجيء في حروف المصدر ولا يحتاج إلى عائذ" (٢٦٠).

وكما هو واضح فإن هذا التعريف قد اكتفى بوضع قيود تحدد ما يتميز به الموصول الحرفي عن الموصول الاسمي من علامات، من نحو عدم احتياجه إلى عائذ. فهولا يصلح أن يكون حداً يعرف المصدر المؤول بالشكل الذي يطمأن إليه. ولقد كان تعريف المصدر المؤول لا يزال في حاجة إلى تعريف دقيق ولو على سبيل الشكل الإجرائي في أول الأمر كما هي الحال في تعريف المصدر الصريح بأنه "اسم الحدث الجاري على الفعل (٢٦١)".

إن المصدر المؤول (الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفية نحوية ما بالاستبدال) هو ذلك التركيب الإسنادي المؤلف من أحد الأحرف المصدرية ومدخولاتها من الأفعال والأسماء. وإن المراد بالاسم الأول بالصريح المصدر المنسبك من الفعل والحرف المصدرية سواء

أكان الحرف السابق هو "ما" المصدرية(. . .) أم كان الحرف المصدرية هو "أن" (٢٦٢) (. . .) أم كان الحرف المصدرية هو همزة التسوية بعد لفظ "سواء" (٢٦٣) أو الحرف "لو". ويرى سيبويه أن الوحدة الإسنادية الفعلية التي قوامها الحرف المصدرية "أن" والفعل ومرفوعه لا يختلف سلوكها النحوي عن الوحدة الإسنادية الاسمية التي قوامها الحرف المصدرية "أن" ومعمولها من حيث إنها بمنزلة اسم واحد تستبدلان به لتؤديا وظيفة ما في الجملة المركبة أو الوحدة الإسنادية المركبة ، حيث يقول باب ما تكون فيه " أنَّ " و " أنْ " مع صلتها بمنزلة غيرها من الأسماء ، وذلك قولك: ما أتاني إلا أنهم قالوا كذا وكذا (. . .) كأنه قال ما أتاني إلا قولهم كذا وكذا. ومثل قولهم ما منعي إلا أن يغضب علي فلان" (٢٦٤). وقد لاحظت " موزل " أن سيبويه يصنف أضراباً من الكلم تصنيفاً واحداً وفقاً لخطة في الاستبدال. وتقرر أن تقسيماته لأقسام الكلام من حيث انتسابها إلى باب الاسم مشابهة لطريقة التصنيف عند أتباع منهج التحليل إلى المؤلفات المباشرة (٢٦٥). فهو يصنف المصدر المؤول " أن يفعل " أو " أنه يفعل وأنه فعل " أسماء من جهة أنه يمكن أن يستبدل بها اسم مفرد (٢٦٦).

وقد أشار ابن يعيش إلى أن التوكيد المصدرية بـ " أن " تقلب معنى الجملة (٢٦٧) إلى الإفراد وتصير في مذهب المصدر المؤكد" (٢٦٨) لأنها تفتقر في انعقادها جملة (٢٦٩) إلى شيء يكون معها ، ويضم إليها. وما بعدها من منصوبها (٢٧٠) ومرفوعها بمنزلة الاسم الموصول. فلا يكون كلاماً مع الصلة إلا بشيء آخر من خبر أو نحوه (٢٧١) وتأسيساً على ذلك ، فإن المصدر المؤول يخرج من دائرة الجملة. فهو يعد وحدة إسنادية تشكل عنصراً من عناصر الجملة التحويلية أو الوحدة الإسنادية التحويلية المركبة (٢٧٢) وهو يعامل معاملة الاسم ما دام يصلح أن يكون مسنداً أو مسنداً إليه وسوى ذلك من الوظائف التي يؤديها. ويترتب على هذه النتيجة أن نخالف من يسير على الطريقة الغربية في توزيع أقسام الجملة إلى فرعية وأصلية على نحو ما فعله صاحب كتاب " مدخل إلى دراسة الجملة العربية " حين قوله " من الجمل الفرعية التي تحل محل المفرد من الجمل الأصلية وترتبط بها برابط جملة المصدر المؤول" (٢٧٣). وإخراج المصدر المؤول من دائرة الجملة راجع إلى ما يتميز به عنها من فروق في الشكل (٢٧٤) والدلالة (٢٧٥). وعلى الرغم من " أن الناس قد أكثروا في حد الاسم" (٢٧٦) حدوداً تنظر

إلى الشكل أحياناً، وإلى الدلالة أحياناً أخرى فإنه يندر وجود تعريف يجمع الشكل بالدلالة على نحو ما فعله صاحب كتاب "النحو الوافي" حين قال " فالمصدر الصريح الأصلي أي غير المؤول وغير الميمي والصناعي هو الاسم الذي يدل في الغالب على الحدث المجرد (...). فأما من ناحية دلالة المعنوية فإنه يدل في الغالب على مجرد الحدث. أي يدل على أمر معنوي محض، لا صلة له بزمان أو مكان، ولا بعلمية ولا بتذكير أو تأنيث، ولا بإفراد أو جمع أو غيره إلا إذا كان دالاً على مرة أو هيئته. وأما من ناحية تكوينه اللفظي فلا بد أن يكون جامداً مشتملاً على جميع حروف فعله الماضي أو أكثر منها. ولا يمكن أن ينقص عنه في الحروف" (٢٧٧).

وإذا كان الدكتور " عبد الرحمن أيوب " قد ساوى بين المصدر مؤوله وصريحه حين رأى أنه يصح أن يقع كل منهما مبتدأً أو خبراً (٢٧٨)، فإن هذا المصدر يمكن أن يطلق عليه المركب الاسمي (٢٧٩). وهو مجموعة وظائف نحوية ترتبط بعضها ببعض تتمم معنى واحداً يصلح أن يشغل وظيفة نحوية واحدة أو عنصراً واحداً من عناصر الجملة، بحيث إذا أفردت هذه المجموعة وحدها لا تكون جملة مستقلة " (٢٨٠). فهو على الرغم من الوظائف النحوية التي يمكن أن يؤديها، شأنه شأن المصدر الصريح، فهو ينهض بعبد دلالة تختلف عن تلك الدلالة التي نجدها في ذلك المصدر الصريح. يؤيد ذلك قول للسهيلى مؤداه: " فإن قيل: فهلا اكتفي بالمصدر واستغني به عن "أن" لأنه أخصر؟ فالجواب أن في دخول "أن" ثلاث فوائد: إحداها أن الحدث قد يكون فيما مضى، وفيما هوآت. وليس في صيغته ما يدل على المضي أو الاستقبال. فجاءوا بلفظ الفعل المشتق منه مع " أن " ليجتمع لها الأخبار عن الحدث مع الدلالة على الزمان. الثانية أن " أن " تدل على إمكان الفعل دون الوجوب أو الاستحالة. الثالثة: أنها تدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد عليه" (٢٨١).

٢- الوحدة الإسنادية المحولة عن المشتق (أي التي أصلها مشتق):

والتحويل بالاستبدال يوجب علينا الوقوف عند الوحدة الإسنادية الوظيفية (٢٨٢) التي قوامها الموصول الاسمي وصلته. قال ابن يعيش: " إن الذي " وأخواته مما فيه لام إنما دخل توصلاً إلى وصف المعارف بالجملة (٢٨٣). وذلك أن الجمل نكرات، أرادوا أن

يكون في المعارف مثل ذلك فلم يسع أن تقول مررت بزيد أبوه كريم وأنت تريد النعت لزيد لأنه ثبت أن الجمل نكرات، والنكرة لا تكون وصفاً لمعرفة ولم يمكن إدخال "أل" التعريف على الجملة لأن هذه اللام من خواص الأسماء والجملة لا تختص بالأسماء بل تكون اسمية وفعلية فجاءوا حينئذ بالذي متوصلة بها إلى وصف المعارف بالجملة فجعلوا الجملة التي كانت صفة للنكرة صفة للذي وهو الصفة في تمام اللفظ والغرض الجملة (٢٨٤) وذكر الزمخشري أن "الذي" وضع وصلة إلى وصف المعارف بالجملة (٢٨٥). أي بالوحدات الإسنادية. ففي قوله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به الأرحام) (النساء / ١). يطمأن إلى إن التركيب الإسنادي "تساءلون" الذي ذهب "ابن يعيش" إلى أنه جملة جاءت لوصف "الذي"، وهو الصفة في تمام اللفظ والغرض الجملة يطمأن إلى أن لفظة "الذي" جاءت لتقوم بمهمة تعريف الوحدة الإسنادية "تساءلون" لتصبح هي، أي "الذي" وصلتها "تساءلون". وحدة إسنادية مضارعية وظيفتها وصف اللفظة المعرفة "الله". وهذا النوع من الوحدة الإسنادية تتكون من جزئين: اسم الموصول المبهم، وصلته التي تزيل إبهامه وتكون ببنيتها العميقة "مشتقاً" اسم فاعل، أو اسم مفعول (٢٨٦).

لأنه إذا كان مجموع الموصول والصلة جزءاً من المركب يكون الموصول أيضاً جزءاً ولكن لا جزءاً تاماً أولاً إلا بصلة" (٢٨٧) ويقصد بالمركب الجملة المركبة التي تكون الوحدة الإسنادية الوظيفية المؤلفة من الموصول وصلة مؤدية وظيفية نحوية ما فيها، كأن تكون واقعة فاعلاً، أو نائب فاعل، أو مبتدأ، أو خبراً، أو نعتاً، أو مضافاً إليه. لأن كلاً من الصلة والاسم الموصول بعض من كلمة. فلا يمكن أن يكون الإعراب لصدرها دون عجزها الذي رأوا أنه لا محل له من الإعراب (٢٨٨). وأساس ذلك أن "معنى الموصول أن لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده. ولهذا المعنى من احتياجه إلى جملة (٢٨٩) بعده توضحه (...). صار كبعض الكلمة. وبعض الكلمة لا يستحق الإعراب، لأنه أشبه الحرف من حيث إنه لا يفيد بنفسه (...). فصار كالحرف الذي لا يدل على معنى في نفسه، إنما معناه في غيره. ولذلك يقول بعضهم إن الموصول وحده لا موضع له من الإعراب" وإنما يكون له موضع من الإعراب إذا تم بصلة" (٢٩٠).

فالموصول الاسمي مع صلته بمثابة شطري اسم (٢٩١) فهما كاسم واحد. قال الجرجاني "إنك لا تصل الذي إلا بجملة (٢٩٢) من الكلام قد سبق من السامع علم بها" (٢٩٣) لأن

الصلة هي مبعث الفائدة. فالموصول الاسمي إن هو إلا رابط شأنه شأن الموصول الحر في (٢٩٤). وإذا كان ابن هشام بقوله " وبلغني عن بعضهم أنه كان يلقن أصحابه أن يقولوا: الموصول وصلته في موضع كذا محتجاً أنه كالكلمة الواحدة " (٢٩٥) يعارض أن تكون الوظيفة النحوية لاسم الموصول مع صلته فإن بحثنا هذا سيتعامل مع طريفة هذه المعادلة على أنهما يشكلان وحدة إسنادية وظيفية (٢٩٦) تنهض بوظائف متنوعة. ومن صور التحويل بالاستبدال ما وقع في الوحدتين الإسناديتين الواردتين في الآية الكريمة: (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) (الحج/١٩). إذ إن الجملة الاسمية المركبة في هذه الآية محولة بالاستبدال. حيث إن المبتدأ فيها "فالذين كفروا" محول لوروده وحدة إسنادية ماضوية، بنيتها العميقة "الكافرون"، والخبر هو الآخر محول لوروده وحدة إسنادية ماضوية "قطعت لهم ثياب" بنيتها العميقة "مقطعة لهم ثياب. ذلك" أن الجملة (٢٩٧) لها إعراب لنيابتها عن المفرد (٢٩٨) وسيأتي تفصيل هذا النوع من التحويل حين عرض صور الوحدات الإسنادية الوظيفية المؤدية وظيفية المبتدأ، والخبر، واسم الناسخ وخبره، والفاعل، ونائب الفاعل والنعت، والحال، والمضاف إليه، والمستثنى. ومن خلال عرضنا لصور التحويل في الجملة العربية وكذا في وحداتها الإسنادية الوظيفية المحولة سنتجلى لنا أهمية معرفة التحويل ودوره في الفهم السليم لمثل هذه التراكيب الإسنادية.

والتحويل بالاستبدال يمس الكلمات والصيغ الصرفية. لذلك ينبغي لمستمع اللغة العربية أن يكون على علم بالفرق الذي بين نوعين من الزمن في اللغة العربية.

١- الزمن الصريفي:

وهو الزمن الذي تدل عليه الصيغ الفعلية في حالتها الإفرادية خارج السياق، أو في الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية التوليدية.

٢- الزمن النحوي:

وهو الزمن الذي يدل عليه السياق من خلال الصيغ مفردة ومركبة مع ما يصحبها من ضمائم وقرائن لفظية وحالية (٢٩٩). ويكون ذلك في الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية التحويلية. وهذا الزمن النحوي قد يعبر عنه بصيغ غير فعلية تشرب معنى الزمن

داخل السياق كالمصادر والصفات (٣٠٠). وينبغي لنا ان نفهم وندرك تسمية النحاة الأفاذ الفعل الماضي والمضارع والأمر بتلك المسميات إنما كان بالنظر إلى موقعها في الجملة أو الوحدة الإسنادية التوليدية. أما في الجملة أو الوحدة الإسنادية التحويلية فلقد أدركوا أن لهذه الأفعال دلالات أخرى في ضوء قرائن السياق وملابساته، وخلصوا إلى أن الفعل الماضي يدل على المستقبل مع أغلب أدوات الشرط (٣٠١) كما هو الشأن في الجملة الشرطية الواردة في قوله تعالى (إن أحسنتم (٣٠٢) أحسنتم لأنفسكم) (الإسراء ٧/)، وانتهوا إلى أن اسم الفاعل يدل على المضي إذا كان مضافاً "لأن معنى الحديث في قولك هذا ضارب زيد، هذا ضارب زيداً" (٣٠٣) ويدل على الاستقبال إذا كان عاملاً عمل فعله (٣٠٤). "وتقول هذا ضارب عبد الله الساعة فمعناه (...). هذا يضرب عبد الله الساعة" (٣٠٥).

ومن مظاهر هذا الصنف من التحويل على مستوى الأفراد (٣٠٦) إقامة اسم الفاعل مكان المصدر في نحو قوله تعالى: (ليس لوقعتها كاذبة) (الواقعة ٢/)، أو إقامة المفعول به مكان المصدر في مثل قوله تعالى: (بأيكم المفتون) (القلم ٦/)، أو إقامة المفعول بدل اسم الفاعل في مثل الآية الكريمة: (حجاباً مستوراً) (الإسراء ٤٥/)، أو إقامة المصدر مكان فعل الأمر في نحو قوله تعالى: (وبالوالدين إحساناً) (الإسراء ٢٣/).

٢- التحويل بالزيادة:

كل كلمة في الجملة أو الوحدة الإسنادية ترتبط بالبوذة فيها (٣٠٧) والتي هي الفعل مع مرفوعه، والمبتدأ مع خبره بسبب وعلاقة معينة (٣٠٨). وبذا يتحقق النظم في التراكيب الإسنادية (٣٠٩). يقول الجرجاني: "لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك" (٣١٠). "ولا يتحقق هذا من غير أن تعتمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً، أو تعتمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تتبع الاسم اسماً آخر على أن يكون الثاني صفة أو حالاً أو تمييزاً، أو أن تتوخى في كلام هو لإثبات معنى يصير نفيماً أو استفهاماً أو تمنياً فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك (٣١١). والتحويل بالزيادة لوجود العوارض التركيبية يعد وسيلة تؤدي إلى توافق (٣١٢) أحكام النحوم وجود الاستعمالات اللغوية الصحيحة (٣١٣).

والزيادة التي تعد عنصراً من عناصر التحويل هي تلك الزيادة التي يضاف فيها إلى الجملة أو الوحدة الإسنادية التوليدية كلمات قد تكون فضلات أو قيوداً (٣١٤)، وقد تكون عوامل متمثلة في النواسخ لتحقيق زيادة في المعنى. وأساس ذلك أن كل زيادة في المبني تتبعها زيادة في المعنى (٣١٥)، قال السيوطي: "وأما تقييد الفعل بقيد من مفعول مطلق أو به، أو له، أو فيه، أو معه، أو حال، أو تمييز، أو استثناء، وذلك لزيادة الفائدة (٣١٦). فكل زيادة تدخل على الجملة التوليدية الفعلية أو الاسمية تحول معناها إلى معنى جديد غير الذي كان. قال الجرجاني: "وكلما زدت شيئاً وحدت المعنى قد صار غير الذي كان" (٣١٧).

فالتحويل إن هو إلا حمل الشيء على الشيء وإجراؤه عليه بغية اكتشاف الجامع الذي يجمع المحمول والمحمول له. والذي ينطلق فيه من البنية التوليدية للجملة أو الوحدة الإسنادية المكونة من عنصرين فتحمل عليها أخرى تكون فيها زوائد لإظهار كيفية تحول هذه النواة بتلك الزوائد. "وهي في الحقيقة مقارنة بنوية أساسها ما يسمى في الرياضيات الحديثة بالتطبيق، وهي هنا تطبيق مجموعة على مجموعات أخرى طرداً وعكساً" (٣١٨). ويمكن أن نوضح ذلك بالجدول التالي (٣١٩) الآتي:

—	زيد منطلق	•
	زيد منطلقاً	كان
	زيداً منطلق	إن
	زيد منطلقاً	كان
أمس	زيداً منطلقاً	حسبت
وهو راكب	خالد عبد الله	رأى

ولقد لاحظت "موزل" من خلال اختبارها لوجود الدلالة التي يتخذها مصطلح الخبر (٣٢٠) عند سيبويه الذي يكون عنده مبنياً على المبتدأ "زيد أخوك" أو مبنياً على كان واسمها نحو "يظل زيد أخاك"، أو مبنياً على المفعول الأول (٣٢١) نحو حسب عبد الله زيداً أخاك. وإذن فهو يتخذ عند سيبويه صوراً خارجية سطحية مختلفة الموقع والامتداد. (خبر المبتدأ، خبر لظل، مفعول حسب الثاني). ولكنه يعرف له دوراً واحداً

ثابتاً في بنية عميقة أصلية يرتد إليها(٣٢٢). ذلك أن "جملة(٣٢٣) كان وأخواتها وكاد وأخواتها، وإن وأخواتها، وباب ظن هي فروع متحولة عن أصل واحد هو الجملة الاسمية(٣٢٤) التوليدية" التي قواهما المبتدأ والخبر وفق خطوات ثابتة مطردة. "بل إن باب "ظن" ما يزال يحمل في عنواناته دلائل حاسمة على هذا التأصيل والتفريع في مبنى الجمل. ذلك أنه يعرف بباب الأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر"(٣٢٥).

فالنحاة العرب ينطلقون من أقل ما يمكن أن يتكلم به مفرداً، وينظرون إلى العناصر التي يمكن أن تدخل ذلك الكلام دون أن تخرجه عن كونه كلاماً واحداً(٣٢٦). ومن العناصر التي تدخل على الجملة الاسمية التوليدية كان وأخواتها، وإن وأخواتها وأفعال الشروع، والمقاربة، والرجاء، حيث تحولها إلى جمل تحويلية اسمية فتقيدها بزمن معين. ومن عناصر الزيادة أدوات النفي(٣٢٧) التي تدخل على هذه التراكيب الإسنادية فتتفي الحكم، وأدوات التوكيد(٣٢٨) التي تؤكد المسند إليه أو المسند، وأدوات الاستفهام التي يسأل بها عن الحكم، وغيرها من الزيادات. سواء أكان لها أثر نحوي أم لم يكن(٣٢٩). وهناك عناصر تدخل على الجملة أو الوحدة الإسنادية لدلالة إفصاحية من نحو أدوات التعجب أو التوبيه. ففي قوله تعالى: (إن الله غفور رحيم)(التوبة/ ٥٩). يعد الناسخ الحريفي "إن" عنصر تحويل جعل الجملة الاسمية التوليدية "الله غفور" حاملة معنى التوكيد(٣٣٠) لأن الزيادة تحول الجملة(٣٣١) من معناها إلى معنى جديد. وهو ما عناه الجرجاني بقوله " وكلما زدت شيئاً وجدت المعنى قد صار غير المعنى الذي كان"(٣٣٢). ومن الأدوات التي تضاف في صدر الجملة أو الوحدة الإسنادية التوليدية الاسمية والفعلية حرفا الاستفهام الهمزة وهل. ففي قوله تعالى: (قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم)(مريم/ ٤٦). يلاحظ أن الوحدة الإسنادية الاسمية التوليدية في هذه الآية هي: أنت راغب عن آلهتي "مكونة من مسند إليه+ مسند". فدخلت الهمزة في هذه الوحدة الإسنادية لتفيد معنى الاستفهام، ولتحول الوحدة الإسنادية التوليدية إلى وحدة إسنادية تحويلية اسمية ثم قدم المسند "راغب" للنعناية والاهتمام(٣٣٣). ويمكن أن تعد هذه الوحدة الإسنادية مضارعية محولة باستبدال المسند(الوصف) "راغب". إذ إن بنيته العميقة "ترغب" وفي قوله تعالى: (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ألست بربكم قالوا بلى)(الأعراف/ ٢٧٢). يسجل أن

الوحدة الإسنادية الاسمية الاستهامية " ألت بربكم " محولة بالزيادة المتمثلة في " همزة الاستفهام " المفيدة الإنكار والفعل الماضي الناسخ " ليس " المفيد النفي، وحرف الجر " الباء (٣٣٤) المفيدة التوكيد (٣٣٥). والبنية التوليدية لهذه الوحدة الإسنادية هي " أنا رب لكم ". جاءت لتفيد الاختصاص، لأن مثل هذا التركيب ينبغي أن يكون المبتدأ فيه معرفاً والخبر نكرة. ومن مظاهر التحويل بالزيادة في الجملة الاسمية تعريف الخبر لدواع بلاغية (٣٣٦) في نحو قوله تعالى: (وأولئك هم الغافلون) (النحل / ١٠٨). فالخبر في هذه الجملة الاسمية البسيطة المحولة " الغافلون " ورد معرفاً بـ " أل " لإفادة كمال الصفة في الخبر، أي الكاملون في الغفلة. إذ فيه قصر الخبر على المبتدأ. وقد تتعد عناصر الزيادة لتحقيق التوكيد الذي يطلبه الخبر الإنكاري في نحو قوله تعالى: (إن هذا لهو البلاء العظيم) (الصافات / ٦). حيث إن الجملة الاسمية في هذه الآية محولة بإضافة أربعة مؤكدات، هي: إن، واللام المزحلقة المقترنة بضمير الفصل " هو " المفيد التوكيد، ومجيء الخبر " البلاء " معرفاً بـ " أل ". والبنية العميقة التوليدية لهذه الجملة الاسمية البسيطة هي " هذا بلاء ".

والتحويل بالزيادة في الجملة الفعلية قد يكون آتياً من ثلاث زيادات تمثل ثلاثة مؤكدات تتضافر لتشكل خبراً إنكارياً. وشاهده الجملة الفعلية الواردة في قوله تعالى: (ولن تفلحوا إذاً أبداً) (الكهف / ٢٠). فالجملة المضارعية المنفية في هذه الآية محولة بإضافة حرف النفي " لن " المفيدة نفي الفلاح في المستقبل، وإضافة عنصري التوكيد " إذاً " و " أبداً " لإفادة أن هذا الفلاح مؤكد نفيه (٣٣٧).

٢. التحويل بالحدف:

الإيجاز سمة بارزة في اللغة العربية يحققها أسلوب الحدف الذي أنس به حذاق العربية وسموه " شجاعة العربية " (٣٣٨). وللجرجاني كلمة رائعة عن الحدف أوردها في كتابه " دلائل الاعجاز " قال فيها " إنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والبلوغ من يختار الإيجاز ما أمكن التعبير عن فكرته بألفاظ قليلة، ويفضله عن الإطناب إذا لم تكن فيه زيادة معنى أو توسيع " (٣٣٩). " ومن عادة العرب الإيجاز والاختصار والحدف طلباً

لتقصير الكلام واطراح فضوله والاستغناء بقليله عن كثيره، ويعدون ذلك فصاحة وبلاغة ويندرج ذلك في الحفاظ على المجهود العضلي والذاكري الذي يحتاج إليه المرسل (٣٤٠).

وقبل أن نتقف على صور الحذف نلفت الانتباه إلى أن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين الحذف والتقدير والتعليل. ولئن ذهب بعضهم إلى أن الحذف والتقدير والتعليل مسائل خيالية محضة لا يعرف عنها العرب الأوائل شيئاً فذلك - لأن العربي القح إنما نطق اللغة العربية على السليقة (٣٤١) (على سجيته) - فإن الحذف والتقدير يوصلان إلى ضبط ما لا يمكن ضبطه بغيرهما. فثمة تراكيب إسنادية (جمل أو وحدات إسنادية) وقع فيها حذف لولم نقدره ما استطعنا فهمها الفهم السليم.

والحذف الذي يعد عنصراً تحويلياً هو ذلك الذي يسجل في الجملة أو الوحدة الإسنادية التوليدية الاسمية أو الفعلية لغرض في المعنى. وتبقى معه هذه الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية حاملة معنى ما. وهذه بعض صور للتحويل بالحذف:

١- حذف المسند:

لحذف المسند لا بد من وجود قرينة دالة عليه، لأن الحذف خلاف الأصل. فلا يعدل إليه إلا لسبب يقتضيه مع قيام قرينة دالة عليه. سواء أكانت هذه القرينة حالية أم مقالية (٣٤٢). إذ المحذوف بدونها لا يعلم بالنسبة إلى السامع، فيخل الحذف بالمقصود. ونقف على الوحدة الإسنادية الفعلية المحولة بالحذف في قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) (لقمان / ٢٥). فالوحدة الإسنادية الماضية البسيطة " الله " محولة لورود الفعل الماضي، والمفعول به فيها محذوفين. وبنيتها العميقة " خلقهن الله ". والقرينة على المسند المحذوف ممثلة في وقوعه في جواب السؤال المذكور. ولا يقال إن بنيتها العميقة " الله خلقهن " (٣٤٣) لورود ذلك في مثل هذا الموضع في قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) (الزخرف / ٩)، وفي نحو قوله تعالى: (قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) (التحریم / ٥)، وفي قوله عز وجل: (قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) (يس / ٧٨، ٩٩). وذلك طرداً للباب (٣٤٤).

٢ - حذف المبتدأ:

يحذف المبتدأ لعلم السامع به. وقد خصص له سيبويه باباً فقال: " هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمراً، ويكون المبني عليه مظهراً " (٣٤٥). يقصد بالمبني عليه الخبر.

صور حذف المبتدأ:

كثيراً ما ترد الجملة أو الوحدة الإسنادية الاسمية محذوفة المبتدأ، فيقدر هذا المبتدأ انطلاقاً من فكرة الإسناد أو التكامل بأصل الوضع اللغوي، وهي قاعدة مفادها أن التركيب الإسنادي يشتمل في أبسط صورته على المسند والمسند إليه لفظاً أو تقديراً. ذلك أنه لا يمكن للعنصر الواحد أن يكون مفيداً بمفرده. إذ لا بد من الإسناد المنوي ذهناً حتى تتكون الجملة أو الوحدة الإسنادية. والمبتدأ يحذف لعلم السامع به. وقد خصص له سيبويه باباً فقال: " هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمراً ويكون المبني عليه مظهراً " (٣٤٦) يقصد بالمبني عليه الخبر. ويندرج تحت هذا الأسلوب إعراب أوائل السور (٣٤٧). ونقف على هذا النوع من التحويل بالحذف في نحو قوله تعالى: (طاعة وقول معروف) (محمد / ٢١). فالجملة الاسمية " طاعة " محولة بحذف المبتدأ. وبنيتها العميقة " أمري طاعة ". وقد يكون الخبر هو المحذوف، فتكون بنيتها العميقة " طاعة وقول معروف أمثل ".

وفي كلا الحالتين يلاحظ أن الجملة الاسمية محولة بالحذف. فالبنية العميقة التي ينشدها المنتحي سمت كلام العرب تكون تبعاً لتصور المعنى وتحديده، لأن العمل الوصفي التفسيري هو الذي كان ينشده سيبويه (٣٤٨).

٣ - حذف المفعول به:

إن ارتباط حذف المفعول به مع الفعل بعلاقة المفعولية جعل بعض النحاة يعدون ذلك المفعول ركناً رئيساً من أركان الجملة أو الوحدة الإسنادية الفعلية. وحجتهم في ذلك أن المفعول به في ارتباطه ببؤرة هذين التركيبين الأساسيين (٣٤٩) وهو الفعل والفاعل سواء بسواء. ولقد رأى بعضهم أن هذا المفعول به قد يعرض للتحويل بالحذف.

وفي هذا المبحث سنقف على مسألتين كثر حذف المفعول به فيهما في الفاصلة القرآنية.

المسألة الأولى (٣٥٠):

وهي حذف المفعول به بعد نفي العلم. حيث نجد كثيراً من الآيات تنتهي بالجملة الفعلية (يعلمون) أو (لا تعلمون) دون أن يذكر للفعل واحد من مفعوليه أو كليهما نحو قوله تعالى: (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (البقرة / ٢١٦). " فمفعولاً " يعلم " و " تعلمون " محذوفان دل عليهما ما قبله أي: والله يعلم الخير والشر وأنتم لا تعلمونهما لأن الله يعلم الأشياء على ما هي عليه والناس يشتبه عليهم العلم فيظنون الملائم نافعاً والمتأخر ضاراً" (٣٥١).

المسألة الثانية:

وفيهما يسجل حذف المفعول به إذا كان ضميراً في الوحدة الإسنادية الوظيفة التي قوامها الموصول الاسمي الواقعة في الفاصلة القرآنية. ونقف على نموذج لذلك في قوله تعالى: (أهذا الذي بعث الله رسولاً) (الفرقان / ٩١). أي بعثه الله رسولاً (٣٥٢).

٤- التحويل بالترتيب:

لقد أوضحنا فيما سبق أن اللغة العربية تتميز بحرية النظم. فالكلمة فيها يتغير موقعها مع بقائها محافظة على معناها النحوي (٣٥٣).

ذلك أن الجملة ينبغي أن تبنى بكيفية معينة في انتظام معين بتقديم، وتأخير، وحذف في ضوء قواعد وقوانين التحويل التي تهدف إلى تحقيق المعنى المراد (٣٥٤).

وإن النظام اللغوي للعربية يحافظ على رتب خاصة بالنسبة إلى إجراء الكلام وفق الصور الإسنادية للجملة أو الوحدة الإسنادية. ويمكن أن تتغير مكونات الجملة أو الوحدة الإسنادية تقديماً أو تأخيراً حين يسمح النظام اللغوي بذلك، وحسب السياق الكلامي (٣٥٥). ودراسة التقديم والتأخير قائمة على دراسة الرتبة في الجملة العربية. فقد حدد علماء النحو الرتبة وجعلوها محفوظة وغير محفوظة.

فإذا احتاج المتكلم أن يؤكد جزءاً من الجملة أو الوحدة الإسنادية بدون إدخال أدوات التوكيد يجد اللغة العربية بقرائنها المتنوعة - وأهمها علامات الإعراب- تساعد على تأدية هذا المعنى. فيقدم الجزء الذي يهتم به. يؤيد ذلك قول لسبويه مفاده " إنما يقدمون (٣٥٦) الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم

ويعنيانهم" (٣٥٧). يعزز ذلك قول للجرجاني فحواه " واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام" (٣٥٨). " وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه" (٣٥٩) " والتقديم والتأخير مرهونان بالأغراض والأحوال التي تخص المخاطب والسياق الكلامي الذي يرد فيه التركيب الإسنادي في صورته" (٣٦٠). أي أن الإسناد المحول الواقع فيه التركيب المقدم أو المؤخر منطلق أساساً من فهم الأحوال المتحولة والمتغيرة للخطاب.

وقد شرح الجرجاني الظاهرة التركيبية لعملية التقديم والتأخير للأركان اللغوية. سواء أكان ذلك على يمين الفعل أم على يساره (٣٦١) "وقد أدرك القدماء أن التقديم والتأخير يتعلقان بالمعنى في ذهن المتكلم. " فالألفاظ تقتضي في نظمها آثار المعاني. وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس" (٣٦٢).

والترتيب الذي يعد عنصراً تحويلياً هو ذلك الذي يتم فيه إجراء تغيير يقع على ترتيب عناصر الجملة أو الوحدة الإسنادية بالتقديم والتأخير، من نحو تقديم الفاعل على الفعل، أو المفعول به على الفعل والفاعل في الجملة أو الوحدة الإسنادية الفعلية، ومن نحو تقديم الخبر على المبتدأ في الجملة أو الوحدة الإسنادية الاسمية، أو تقديم الفضلات على أحد ركني الجملة الأساسيين أو عليهما معاً بغية إحداث تغيير في المعنى. فالترتيب عنصر تحويلي يرتبط بالبنية العميقة المتعلقة بالمعنى في ذهن مستعمل اللغة. ويتم بتقديم ما حقه التأخير للتعبير عن ذلك المعنى ونقله إلى السامع (٣٦٣). وهذا النوع من التحويل بالترتيب قسم إلى قسمين:

١- تقديم على نية التأخر ويسمى تحويلاً محللياً.

٢- تقديم لا على نية التأخر ويسمى التحويل الجذري. وقد عقد " ابن السراج" باباً في كتابه " الأصول في النحو" تحدث فيه عن التقديم والتأخير ووجوهه (٣٦٤).

فإذا أراد المتكلم أن يجري تغييراً في المعنى عليه أن يجري تغييراً في المبنى. ويسمى هذا التغيير تحويلياً يأخذ صوراً متعددة. منها ما يكون لغرض القصر. ففي قوله تعالى: (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (الزمر / ٦٦). يلاحظ الجملة الفعلية " بل الله فاعبد" قد قدم فيها المفعول به " الله" على الفعل والفاعل " فاعبد" وصولاً إلى قصر

المفعول على فعل الفاعل(٣٦٥). أي قصر عبادتك على الله وحده. وفي قوله تعالى: (إياك نعبد) (الفاتحة/٥). يلاحظ أن الجملة المضارعية "إياك نعبد" هي جملة محولة بنيتها العميقة "نعبدك" لإفادة الاختصاص والقصر. ولقد كان نقلها إلى مستوى دلالي خاص يوافق أسلوب القصر الذي يتطلب نقل الاسم عن طريق التفكيك إلى اليمين. ولما كان ذلك يصطدم بنوياً بعدم إمكانية استقلال المتصل بذاته تحتم تحويله إجبارياً إلى قبيله وهو الضمير المنفصل "إياك". وأساس ذلك أن الجملة الفعلية (٣٦٦) التي يكون المفعول به فيها ضميراً متصلاً، حين يراد أن يقصر الحديث عليه دون غيره، فإن هذا الضمير المتصل يتحول إلى ضمير منفصل في محل نصب مقدم على عامله(٣٦٧). فالاختصاص كان بسبب تقديم الضمير المؤدي وظيفته المفعول به.

وقد يكون التحويل بالتقديم لإحداث النغم الذي له درجة كبيرة وتأثير عجيب على السامع. ويلاحظ ذلك في فواصل القرآن الكريم في نحو قوله تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر)(الضحى/٩، ١٠). ذلك أن الجملتين الفعليتين "فأما اليتيم فلا تقهر"، و"أما السائل فلا تنهر" محولتان بتقديم المفعولين "اليتيم"، و"السائل" على فعليهما "تقهر" و"تنهر" (٣٦٨)، وفاعليهما اللذين بنيتهما العميقة "أنت" وهذا التحويل قد جعل النص محملاً بطاقة تأثيرية عالية جداً في الجانبين المعنوي والصوتي التنغمي(٣٦٩)

ثالثاً: نظرية الحمل:

قبل أن نعرض لنظرية الحمل البالغة أهميتها نلفت الانتباه إلى أنه شاع في بعض المؤسسات "المعاهد والكلديات" القائمة على تعليم قواعد اللغة العربية دعوة ينادي أهلها بضرورة تطوير القواعد النحوية، وهو تطوير لئن كان أصحابه مختلفين في تسميته، فإنهم غير مختلفين في حقيقته، تراهم يسمونه تارة "تهذيباً"، وتارة تيسيراً وتارة إصلاحاً، وتارة تجديداً، وهم في كل الأحوال يعنون به التحلل من القوانين التي صانت اللغة العربية خلال ألف عام أو يزيد.

ولقد اقترنت هذه الدعوة بالكلام عن صعوبة اللغة العربية، وتوقفها عن النمو والتطور وتخلفها عن مسيرة العصر، والانتفاع بما استخدمه الدارسون في اللسانيات

الحديثة عند الغربيين. ولنا أن نتساءل: لماذا كثر الكلام عن صعوبة القواعد النحوية في النصف الأخير من القرن الماضي؟ ولم ينتبه أولئك الداعون إلى وجود هذا النقص في العربية إلا في هذا الظرف؟ أليس ذلك تقليداً للغربيين الذين اقترحوا اتخاذ اللهجات المحلية لغات لتحل محل اللغة العربية الموحدة. ويكفي في إقامة الدليل وكشف الغطاء عن سوء نية الداعين أن نسوق هذه الفقرة من كتاب طه حسين "مستقبل الثقافة في مصر" حين دعوته إلى فتح باب التطوير في اللغة العربية ودراستها. "و في الأرض أمم متدينة كما يقولون، وليست أقل منا إثارة لدينها، ولا احتفاظاً به، ولا حرصاً عليه ولكنها تقبل في غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التي تفكر بها وتصطنعها لتأدية أغراضها. ولها في الوقت نفسه لغتها الدينية الخالصة التي تقرأ بها كتبها المقدسة، وتؤدي بها صلواتها. فاللاتينية مثلاً هي اللغة الحديثة لفريق من النصارى، واليونانية هي اللغة الدينية لفريق آخر والسريانية هي اللغة الدينية لفريق رابع(. . .) وبين المسلمين أنفسهم أمم لا تتكلم العربية ولا تفهمها، ولا تتخذها أداة للفهم والتفاهم، ولغتها الدينية هي اللغة العربية ومن المحقق أنها ليست أقل منا إيماناً بالإسلام، وإكباراً له، وزياداً عنه. وحرصاً عليه" (٣٧٠).

و يحسن بنا أن نورد الأبيات الآتية الواضحة الدلالية، التي ينبغي لقارئها، وقارئ ذلك النص(٣٧١) أن لا يغيب عنه الشعار الذي اتخذه طه حسين في صدر الكتاب السالف الذكر حين إثباتها على غلافه. وهذه الأبيات هي:

خذي هذا وحسبك ذاك مني	على ما في من عوج وأمت
وماذا يبتغي الجلساء مني	أرادوا منطقي وأردت صمتي
ويوجد بيننا أمد بعيد	فأموا سمتهم وأمت سمتي

وهي أبيات واضحة الدلالية لئن لم يصرح فيها بكل ما في نفسه خشية أن يتعرض لما تعرض له حين إخراجه كتاب "الشعر الجاهلي" (٣٧٢)، فهي يراد منها أن لا نتحى سمت كلام العرب الأقحاح الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم.

إن الوسيلة إلى تحقيق نهضة وتطوير في قواعدنا النحوية تكمن في إتقان هذه القواعد لا في الاستغناء عنها. وإذا كانت تلك المحاولات لم يكتب لها التوفيق والنجاح،

فذلك لأنها ابتعدت عن الأصول النحوية واصطدمت بواقعها المعيش. فأدركنا أن إصلاح النحو ومنه صور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية يمكن في إعادة دراستها دراسة جديدة، لا تمس جوهرها، بل تحاول التسهيل في الأسلوب والعرض وتعمل على حذق الآراء بما فيها الشاذة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، مع ضرورة إخراج هذا التراث العظيم. إلى حيز الوجود في ثوب جديد يسر القارئين طلاباً وباحثين.

ومنه فإن هامش الاجتهاد لدى من تشغله هذه المسألة سيبقى في التيسير، ولكن ليس ذلك التيسير الذي يدعو إلى الاستغناء عن بعض الظواهر النحوية، من مثل مطالبة بعضهم بالاستغناء عن الإعراب المحلي وإلغاء الضمير المستتر. . . إلخ، لأن في ذلك فساداً للغة، ولا ذلك التيسير الذي يبقى يحوم حول التقيد بعرض المتحجر من النماذج غير الوظيفية التي لا نقف أحياناً على نظائرها في أهم مصادر تراثنا اللغوي، فهي تثقل القارئ فحسب.

والتيسير الذي نتوخاه هو ذلك الذي يحرص على تطوير اللغة العربية، ويشمل تذكيراً وتفسيراً لكل البنيات العميقة التي لصور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية مثلاً، والذي يلتزم القياس الصحيح. ولما كان النحو العربي قياساً، فإننا نحسب أن ظاهرة الحمل التي لا يكاد يخلو باب من أبواب النحو من آثارها باعتبار أنها مكتملة للقياس حرية بأن تستغل أحسن استغلال في تيسير استيعاب كثير من المسائل النحوية والصرفية. حيث إن كثيراً من تلك المسائل لو أدرك أنها محمولة على غيرها لسهل فهمها. فمثلاً المشتقات الخمسة التي تسمى " الوصف " ممثلة في اسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة والصفة المشبهة (٣٧٣) وأفعال التفضيل يدرك ويفهم كيف أنها تعمل حين يعرف أنها محمولة على أفعالها. ومن ثم يسهل ويهضم سبب إعراب ما بعدها على أنه فاعل أو نائب فاعل لها.

وأساس ذلك أن أصل العمل إنما يكون للحروف والأفعال. ويدرك بفضل ظاهرة الحمل أن المشتقات الثمانية الاسمية كيف أنها في باب الإعلال والإبدال تعتل وتبدل حملاً على أفعالها، وكذا يدرك أن المصدر على الرغم من أنه أصل كيف أنه في ذلك الباب يحمل على الفرع فيعتل ويبدل ويعمل حملاً على فعله (٣٧٤).

ولما كان تدوين النحاة للغة التي استتبطنوا منها ذلك النظام ممثلاً في القواعد النحوية من خلال سماعهم مما انتقوه من القبائل المشهورة بالفصاحة غير مستوف (٣٧٥) حيث إنه لم يصل إلى أسماعهم كل ما قالته العرب في أغراضها المختلفة (٣٧٦)، لم يجدوا مناصباً من الاستعانة بالقياس الذي أجروه على سماعهم ليشكل معه منهجهم في تكوين الأنظمة اللغوية (قواعد الانتحاء).

واللافت للانتباه هو أن علماء هذه اللغة لما تفتنوا إلى أن ثمة مسائل نحوية وصرفية قد تخرج عن القياس أو الظاهرة المطردة، لم يجدوا بداً - وهم يقننون لهذه اللغة - أن يستعينوا بإحدى الوسائل التي من شأنها أن تمكنهم من لم شتات المسائل الخارجة عن دائرة هذا القانون المطرد. وإرجاعها إلى حظيرته. فاهتدوا إلى ابتكار ما يسمى " بنظرية الحمل" التي تعتمد إلى خلق نظام دقيق ذي سنن عامة تحاول أن تضبط تحتها كل مفردات الظاهرة اللغوية (٣٧٧).

ولعله حين استقرأنا واستقصأنا بعض صور هذه النظرية سنجد كيف أن هذه النظرية تؤدي دوراً بالغة أهميته. حين تفسرها وتؤولها أو تقديرها المسائل الخارجة عن القواعد المطردة (٣٧٨) على نحو ألحقت فيه المسائل غير المقيسة بالظواهر الأصول " الأم" (٣٧٩).

فما مفهوم نظرية الحمل التي لها هذه الأهمية في النحو العربي؟ جاء في محيط المحيط: " حمل الشيء على الشيء: ألحقه به في حكمه، وحمل النظر عند النحاة: إجراؤه مجرى نظيره باعتبار جامع بينهما" (٣٨٠). فهو "إعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها من الكلم المخالفة لها في نوعها، ولكن توجد بينهما مشابهة من بعض الوجوه" (٣٨١) وهو " قياس أمر على أمر وتحميل أحدهما على الآخر (٣٨٢).

فالمتعلم الذي يدرك ويتذكر مؤهل للقيام بعمليات عقلية أكثر تعقيداً. ويأتي القياس في مقدمة هذه العمليات. جاء في لسان العرب أن قياس الشيء يعني تقديره على مثاله (٣٨٣). ويعرفه علماء الأصول بأنه " إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه للاشتراك بينهما في علة الحكم. ففي القياس يقارن العقل بين موقف معين بموقف معلوم يماثله أو يناقضه (٣٨٤).

والتقدير تعليل يتجاوز الوصف الظاهري لنظام اللغة (٣٨٥) وإن من منطلقات النحاة الأوائل كالخليل وسيبويه في الدرس النحوي التي أكدتها اللسانيات الحديثة (٣٨٦) القياس الذي هو إجراء رياضي يحكم تحويلات الفرع إلى الأصل بعلّة هي مسوغ خارجي (٣٨٧) ليس جزءاً من البنية اللغوية (٣٨٨) إذ لا تظهر في التركيب السطحي. وإنما هي منوية ذهنياً في البنية العميقة. ومن أهم أنواع الحمل: الحمل على الأصل والفرع "الأصل أول يبني عليه ثان" (٣٨٩)، "و الأصل ما يبني عليه غيره" (٣٩٠).

"والأصول من حيث إنها مبنى وأساس لفروعها سميت قواعد" (٣٩١). وهي ليست إلا فكرة مجردة أو صورة ذهنية استتبّطها النحاة من استقراءهم لطبيعة الكلم (٣٩٢) والفرع ثان يبني على أول" (٣٩٣) لأن الأصل "هو المعنى الأول الذي تؤول إليه كل صورة" (٣٩٤) والنحو العربي في أصله بني على مفهوم الأصل والفرع. وحين ميز النحاة الأصول عن الفروع عدوا الأصل بأنه العنصر الثابت أو النواة، أما الفرع فهو الأصل بزيادة إيجابية أو سلبية. ويحصل عن طريق التحويل الطرددي برد الفروع إلى الأصول. فيكون التحويل عكسياً فهو تحويل يخضع لنظام من القواعد والتفريع. وبالتالي له مقابل وهي الحركة العكسية للتفريع. فكل دال لغوي بالنسبة إلى النحاة العرب إما أصل يبني على غيره، أو فرع يبني على الأصل أو الأصول" (٣٩٥) فالتحويل التقديري الذي يفسر البنية التي يحدث فيها اللبس، يشمل في النحو العربي الأصل والمستوى التركيبي ومستوى الكلمة (٣٩٦).

كيفية توظيف نظرية الحمل في تيسير استيعاب صور الوحدة الإسنادية الوظيفية:

الأصل في الأسماء ألا تعمل، وإنما العمل للأفعال والحروف. غير أن بعض الأسماء ومنها الوصف قد جاء عاملاً لكونه محمولاً على فعله. ففي الآية الكريمة: (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) (النحل/٦٩). نجد أن اسم الفاعل "مختلف" عمل فعله اللازم "يختلف". فاكتفى برفع الفاعل "ألوانه" حملاً على فعله. وبتوظيف نظرية الحمل يصبح الوصف مع مرفوعه مشكلين وحدة إسنادية مضارعية تؤدي وظيفة النعت للمنعوت النكرة "شراب". كذلك الوحدات الإسنادية المؤدية وظيفة ما هي محمولة على المفرد الواقعة موقعه. ونظرية الحمل ترى أن البنية العميقة لتلك الوحدات الإسنادية لا تخرج عن أن تكون مصدرراً صريحاً، أو مشتقاً.

هوامش وإحالات الفصل الأول

- (١) ينظر محمد الدرج: التدريس الهادف، كلية التربية، الرباط، ١٩٩١، ص ٢٨.
- (٢) نصر الدين سمار: المنهج التربوي وانعكاساته على اتجاه المراهقين، رسالة ماجستير، معهد علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر، ١٩٩٣ / ١٩٩٤، ص ١٧.
- (٣) سبيير زهارلد: المعلم والمنهج، ترجمة أحمد أبي العباس وسعد ديار، دار النهضة، مصر د.ت، ص ٢١
- (٤) وإن من أهم الأسباب المسهمة في خلق أزمة النحو في المجال التربوي التعليمي قصور المعلم في فهم وظيفة القواعد وعدم وضوح الأهداف المتوخاة من تدريسها.
- (٥) ينظر د. ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥، ص ٩.
- (٦) ينظر الدكتور جابر عبد الحميد: التدريس والتعلم، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٩٨، ص ١٥٧ - ١٥٨.
- (٧) يقصد بالصناعة: تعليم القواعد النحوية.
- (٨) ابن خلدون: المقدمة ٢/ ٤٨٧.
- (٩) ينظر محمد الدرج: المرجع نفسه، ص ٢٨.
- (١٠) ينظر د. بشير إبرير: (استراتيجية التبليغ في تدريس النحو) أعمال ندوة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠١، ص ٤٨٣.
- (١١) ينظر د. بشير إبرير: (استراتيجية التبليغ في تدريس النحو)، أعمال ندوة تيسير النحو، ص ٥٠٣.
- (١٢) عبد الكريم طه: (علم اللغة وتدریس اللغات)، مجلة كلية الآداب، عدد ٥، ١٩٧٤، ص ٢٠٤.
- (١٣) ابن حويلى الأخضر ميدني: (الأثر التربوي والنفسي لكتاب النحو المدرسي في المرحلة الأولى) أعمال ندوة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠١، ص ٤٥٢.
- (١٤) ابن خلدون المقدمة ٢ / ٤٨٢.
- (١٥) تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية ١٠٢ أسسه، تطبيقاته، دار القلم، الكويت ط ٤، ص ١٠٢.
- (١٦) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية) مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، العدد ٤، ١٩٧٤، ص ٤١، ٤٢.
- (١٧) ينظر د. عبد الرحمن حاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)، المرجع نفسه، ص ٥٣ - ٥٧.
- (١٨) منهاج اللغة العربية وآدابها في التعليم الثانوي العام، ١٩٩٥، ص ٩.
- (١٩) د. عبد الرحمن حاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)، المرجع نفسه، ص ١٨.

- (٢٠) د. المسدي عبد السلام: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦، ص ١٣٥.
- (٢١) إبراهيم عبد العليم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص ٥٣.
- (٢٢) المنهاج التربوي الجزائري أثر أن يستعمل مصطلح "نشاط" بدلاً من المادة. فاللغة العربية تنظم أنشطة كثيرة منها نشاط النحو.
- (٢٣) د. مازن الوعر: (النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية)، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، العدد ٦، ١٩٨٢، ص ٢٥.
- (٢٤) د. سام عمار: (نظريات تشو مسكي اللغوية والإفادة من تطبيقاتها)، مجلة الموقف الأدبي معهد اللغة والأدب العربي، دمشق، العدد ١٩، ١٩٨٥، ص ٣٨.
- (٢٥) أحمد حساني: (البنية التركيبية في رحاب اللسانيات التوليدية التواصلية)، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، العدد الأول، ١٩٩٢، ص ٧٤.
- (٢٦) "يسمى البعض " لغة الأم " لأنها هي اللغة التي يفتح بها الطفل عقدة لسانه منذ ظهوره لدنيا الناس، وهي أول ما يصغي إليه عندما تناغيه أمه (. . .) لأنها اللغة التي يتحدث بها الطفل مع أمه " د. بن نعمان أحمد (علاقة اللغة الأم بالثقافة القومية)، مجلة التربية، وزارة التربية الوطنية، الجزائر أبريل ١٩٨٢، العدد ٢، ص ٣٠.
- (27) Noom Chomsky: Principes de phonologie Generative, Trad de Piere, ed seuil, paris, 1971, P26
- (٢٨) أحمد حساني: (البنية التركيبية في رحاب اللسانيات التوليدية النحوية)، مجلة تجليات الحداثة ص ٧٤.
- (٢٩) ينظر إبراهيم عاجي: الإبداع في اللغة حول الجديد عند تشو مسكي، مجلة الفكر العربي المعاصر عدد ١٣، ص ١٦٨.
- (٣٠) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ٤٥/٣.
- (٣١) والذي يطمأن إليه هو أن الكفاية اللغوية قبل اكتسابها تكون شعورية أما بعد اكتسابها فتكون لاشعورية. قال ابن خلدون "ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعراباً وبلاغة أمر طبيعي. ويقول كانت العرب تنطق بالطبع، وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع". ابن خلدون: المقدمة، ٤، ١٣٩٩.
- (٣٢) ينظر د. ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص ٣٤.
- (٣٣) ينظر د. ميشال زكريا: المرجع نفسه، ص ٣٥.
- (٣٤) ثنائية الكفاية والأداء تشير إلى أن الأداء سلوك ظاهر خارجي والكفاية أمر مجرد ضمني داخلي.

- (٣٥) يقصد بالمعنى الأصلي: المعنى العميق المستمد من البنية العميقة للتركيب الإسنادي للوحدة الإسنادية أو الجملة أو الكلمة المحولة التي لم تأت على أصلها.
- (٣٦) من الجمل أو الوحدات الإسنادية الوظيفية.
- (37) Noom Chomsky: langage and Mind ,trad ,F. R , ed , Seuil , Paris, 1973, P 106, 107.
- (٣٨) نقصد بالصيغ الصرفية المحولة المشتقات أو المصادر التي وقع فيها إعلال.
- (٣٩) يقصد به الممارس والمستعمل للغة مرسلأً كان أم متلقياً.
- (٤) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (مدخل إلى علم اللسان الحديث)، مجلة اللسانيات، عدد ١، ١٩٧ ص ٣٢.
- (٤١) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)، المرجع نفسه، ص ٢٩.
- (٤٢) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٣٤٧.
- (٤٣) قصد بالجملة التراكيب الإسنادية سواء أكانت مستقلة معنى ومبنى أم لا.
- (٤٤) لأن القواعد هي التنظيم المحرك لألية التعلم والكامن ضمن الكفاية اللغوية. ينظر ميشال زكريا: الألسنية التحويلية والتوليدية، ص ٣٤، ٣٥.
- (٤٥) ينظر د. ميشال زكريا:، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص ٣٦.
- (٤٦) ينظر عبد الله الجهاد: (النموذج اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني)، جذور التراث، العدد ٦، ٢٠١٦، ص ٣٣٠.
- (٤٧) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية) المرجع نفسه، ص ٢١.
- (48) Noom Chomsky:Principes de phonologie Generative,ed, du, seuil, larousse, paris, 1971, P26
- (٤٩) عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية، تونس، ١٩٨١ ص ١٩.
- (٥٠) ينظر بومعزة رابح: المرجع السابق، مفهوم التحويل في الجملة، ص ٥٦٤ وما بعدها .
- (٥١) د. عبد الرحمن الحاج صالح: الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية في الجامعات العربية ندوة تعليم اللغة العربية، ١٩٨٤، ص ١٠.
- (٥٢) ينظر بشير إبرير: النظرية التبليغية في تدريس النصوص بالمدارس الثانوية الجزائرية، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، ٢٠٠٠، ص ٤٨٥.
- (٥٣) سواء أكانت صور خطاب توليدية أم تحويلية.
- (٥٤) ينظر د علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية الديدانكتيكية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٨، ص ١٠١، ١٠٢.
- (55) Dell. hymes vers la compitance de communication, Armand , colin , Paris 84 P. 2
- (٥٦) ينظر عبد الرحمن حاج صالح: المرجع نفسه، ص ١٠.

- (٥٧) يقصد بالقدرة الملكة اللسانية.
- (٥٨) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية في الجامعات العربية، ندوة تعليم اللغة العربية، المرجع نفسه، ص ١٠.
- (٥٩) ينظر جميلة حمودي: تعلم قواعد اللغة العربية في المدرسة الأساسية، رسالة ماجستير، معهد اللغة العربية جامعة الجزائر، ١٩٩٤، ص ١٢.
- (٦٠) ينظر د. عبد الرحمن حاج صالح: علم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي نقلاً عن حسن خميس سعيد المخ: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ٢٥٠.
- (٦١) ينظر محمد الدرج: التدريس الهادف، ص ٦٠ وما بعدها.
- (٦٢) ينظر د. عبد الرحمن حاج صالح: علم تدريس اللغات والبحث العلمي، المرجع السابق، ص ٢٥٠.
- (٦٣) ينظر د. عبد الرحمن حاج صالح: علم تدريس اللغات والبحث العلمي، المرجع نفسه، ص ٢٥٠.
- (٦٤) ينظر بشير إبرير: (استراتيجية التبليغ في تدريس النحو، أعمال ندوة تيسير النحو)، ص ٤٩٣.
- (٦٥) ينظر أوزفلد كرو: نظرية الأفعال الكلامية من سوسير إلى فلسفة اللغة، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد ١٠، ١٩٩٠، ص ١١٤ وما بعدها. نقلاً عن بشير إبرير: المرجع نفسه، ص ٤٩٣.
- (٦٦) ينظر د. ميشال زكريا: الألسنية علم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥ ص ١١٨.
- (٦٧) سواء أكانت هذه التراكيب الإسنادية جملاً أم وحدات إسنادية، وسواء أكانت اسمية أم فعلية وسواء أكانت مثبتة أم منفية، بسيطة أم مركبة.
- (٦٨) في جمل أو وحدات إسنادية.
- (٦٩) ينظر خليل عبد القادر مرعي: أساليب الجملة، ص ٥٨.
- (70) Chomsky: Aspects de la theory syntaxique, Trad, de Jean, claude, ed, de seuil, paris, 1971, p 13.
- (٧١) ينظر بومعزة رابح: المرجع السابق، ص ٨٥.
- (٧٢) ينظر سام عمار: (نظرية تشومسكي اللغوية والإفادة من تطبيقاتها)، مجلة الموقف الأدبي، ص ٣٨.
- (٧٣) ينظر أحمد حساني: (البنية التركيبية في رحاب اللسانيات التوليدية التواصلية)، تجليات الحداثة ص ٦٩.
- (٧٤) ينظر د. ميشال زكريا: الألسنية التحويلية التوليدية للقواعد العربية، ص ٣٢، ٣٣.
- (٧٥) ينظر د. ميشال زكريا: المرجع نفسه، ص ٣٤، ٣٥.
- (٧٦) ينظر ابن جني: الخصائص، ١ / ٢٣٨.
- (٧٧) ينظر سوسير: علم اللغة العام، ترجمة يوسف عزيز ومراجعة إبراهيم مالك يوسف، الموصل العراق، ١٩٨٨، ص ٣٢، ٣٣. وينظر د. ميجان الرويلي: قضايا نقدية ما بعد بنوية، النادي الأدبي،

الرياض ١٩٩٦ ص ١٦.

- (٧٨) ينظر د. سالم علوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٠، ص ٨٨.
- (٧٩) ينظر الزعبلوي: مسالك القول في النقد اللغوي، دار طلاس، دمشق، ط ١، ١٩٨٤، ص ٦٤.
- (٨٠) ينظر ابن جني: المرجع نفسه، ١ / ٣٤.
- (٨١) ينظر أحمد حساني: (النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي الخطاب التعليمي)، أعمال ندوة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ٢٠٠١، ص ٤٠٠.
- (٨٢) ثنائية القياس والوصف تقابل ثنائية الكفاية والأداء إلا أن البنويين يركزون على الأداء لأنه هو الذي يقبل الوصف والملاحظة المنسجمين مع الدراسة العلمية من وجهة نظرهم. والنحوي من أمثال الخليل وتلاميذه المعتمدين على القياس يمثل المنتحي سمت كلام العرب الذي ينبغي له أن لا يقف عند حدود المثال الذي وصل إليه، بل يقيس عليه عدداً لا متناهياً من الأمثلة.
- (٨٣) السيوطي: المزهري في علوم اللغة، ١ / ٨٧.
- (٨٤) جابر عبد الحميد: التعلم وتكنولوجيا التعليم، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٢ ص ٢٦٢.
- (٨٥) البنويون السلوكيون ينظرون إلى المتعلم على أنه وعاء يملأ بالصيغ والتراكيب التي تلائم مستواه ولكي يقال إنه تعلم اللغة ينبغي له أن يخزن هذه المعارف ويسترجمها عند الحاجة وفق آلية المثير والاستجابة.
- (٨٦) ينظر شرف الدين الراجحي وآخرون: مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية القاهرة مصر، د. ت، ص ١١٧.
- (٨٧) يقصد بكلمة "مفرداً" جملة بسيطة أو وحدة إسنادية بسيطة توليدية. سواء أكانت فعلية أم اسمية.
- (٨٨) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الأدب، جامعة قسنطينة، ص ٢٦.
- (٨٩) ينظر د. ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص ٢٩.
- (90) bachman, C : En language et cominations sociales, paris, 1981, P13 .
- (٩١) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)، مجلة اللسانيات، ص ٢١.
- (٩٢) ينظر بن حويلي لخضر مدني: (الأثر التربوي والنفسى لكتاب النحو المدرسي في المرحلة الأولى، أعمال ندوة تيسير النحو)، ص ٤٥٥.
- (٩٣) ينظر نايف خرمة: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، ١٩٨٨، ص ٢٤٢، ٢٤٣.
- (٩٤) ينظر إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص ١.

- (٩٥) ينظر ابن جني: الخصائص ١ / ٤٥، ٤٦.
- (٩٦). ينظر ابن خلدون: المقدمة، ٢ / ١٠٥٠.
- (٩٧) ينظر جميلة حمودي: طريقة تعليم قواعد اللغة العربية في المدرسة الأساسية، ص ٤٧٨.
- (٩٨) ينظر مجمع اللغة العربية في أصول النحو، القاهرة، ١٩٥٥، ٨ / ١٤١.
- (٩٩) إبراهيم عاجي: الإبداع في اللغة حول الحديث عند تشومسكي، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد ١٩، ص ١٦٢.
- (١٠٠) إبراهيم عاجي: المرجع نفسه، ص ١٦١.
- (١٠١) ينظر عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ١٩.
- (١٠٢) يوسف المحمود: (منهج التعليم الجماعي للغات الأجنبية وعلاقته بالتدريس)، مجلة المعرفة عدد ٢٣٣، ١٩٩١، ص ٦.
- (١٠٣) يقصد بالعبارات الجمل والوحدات الإسنادية
- (١٠٤) د. عبد الرحمن الحاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)، اللسانيات، ص ٢٠.
- (105) Noom Chomsky: Langage and Mind, P21 .
- (١٠٦) د. عبد الرحمن الحاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)، اللسانيات، ص ٢٠١.
- (١٠٧) د. عبد الرحمن الحاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)، اللسانيات، ص ٢٠٤.
- (108) Noom Chomsky: Langage and Mind, P21
- (١٠٩) ينظر إبراهيم عاجي: الإبداع في اللغة حول الجديد عند تشومسكي، ص ١٦٥.
- (١١٠) ينظر د. ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص ٣٢.
- (١١١) ينظر الفاسي الفهري: المعجمة والتوسيط، المركز الثقافي، العربي، المغرب، ط ١، ١٩٩٧، ص ٩.
- (١١٢) الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار العروبة، القاهرة، ١٩٥٩ - ص ٩٢.
- (١١٣) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)، اللسانيات، ص ٤.
- (١١٤) ابن خلدون: المقدمة، ٣ / ١٠٥٨.
- (١١٥) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٦٤، ٦٥.
- (١١٦) فالنحة العرب الأوائل اهتموا بالجانب الشكلي والدلالي للتراكيب الإسنادية ولا أدل على ذلك من حديث سيبويه في باب الاستقامة. ينظر سيبويه: الكتاب، ١ / ٢٥.
- (١١٧) رومان جاكسون: قضايا الشعرية، ترجمة محمد الخولي ومبارك حنون، دار توبغال للنشر

- المغرب، ط ١، ١٩٨٨، ص ٢٠٢، ٢٠٣.
- (١١٨) فالوحدة الإسنادية الوظيفية المحولة يختلف معناها عن المفرد الذي تقوم مقامه.
- (١١٩) ينظر داود عبده: (التقدير وظاهر اللفظ)، الفكر العربي، العددان، ٨، ٩، ١٩٧٩، ص ٧.
- (١٢٠) ينظر د. ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص ٦٦ - ٦٨.
- (١٢١) ينظر د. ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص ٣٢، ٣٣.
- (١٢٢) ابن خلدون: المقدمة، ٤ / ١٤١١.
- (١٢٣) عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٢١٩، ٢٢٠.
- (١٢٤) د. عبد الرحمن الحاج صالح: (مدخل إلى علم اللسان الحديث)، مجلة اللسانيات، ص ٤٠.
- (١٢٥) أو التحليلية (الفهم والإفهام).
- (١٢٦) ينظر عبد الرحمن حاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)، مجلة اللسانيات، ص ٥٧.
- (١٢٧) النحو هنا مصدر وليس العلم النظري الذي يشتغل به النحوي.
- (١٢٨) ينظر ابن جني: الخصائص، ٢ / ٤٢.
- (١٢٩) ابن جني: المرجع نفسه، ١ / ٥٥٧.
- (١٣٠) عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٢٠.
- (١٣١) ابن خلدون: المقدمة، ٤ / ١٢٦٨.
- (١٣٢) ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة، ص ٦٢.
- (١٣٣) ابن جني: الخصائص، ٣ / ٢٧٥.
- (١٣٤) ينظر د. عبد الله شريط: الفكر الخلاق عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٥، ص ٦٧١.
- (١٣٥) ينظر الفكر الخلاق عند ابن خلدون، ص ٦٧١.
- (١٣٦) يقصد بالملكة الكفاية التبليغية البيانية.
- (١٣٧) ابن خلدون: المقدمة، ٤ / ١٢٦٨.
- (١٣٨) ينظر عبد الله بن حمد الخثران: (حفظ النصوص الجيدة وأثره في ترسيخ الفصحى)، مجلة كلية اللغة العربية، الرياض، العدد السابع، ١٩٧٧، ص ٢٤٩.
- (١٣٩) ابن خلدون: المرجع نفسه، ٤ / ١٢٧.
- (١٤٠) ينظر رمضان عبد التواب: بحث اللغة العربية بين المدرس ومنهج التدريس، ندوة خبراء ومسؤولين لبحث وسائل تطوير إعداد معلم اللغة العربية، الرياض من ٥-١٠، مارس ١٩٧٧، ص ٤٥.
- (١٤١) يقصد الخالية من الشواهد الفصيحة.
- (١٤٢) ابن خلدون: المقدمة، ٤ / ١٢٧٨.

- (١٤٣) ينظر عبد الله بن حمد الخثران: (حفظ النصوص الجيدة وأثره في ترسيخ الفصحى)، مجلة كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، العدد ٧، ١٩٧٧، ص ٢٥٠.
- (١٤٤) د. ينظر د. ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص ٦٠.
- (١٤٥) ينظر يوسف المحمود: (منهج التعليم الجماعي للغات الأجنبية وعلاقتها بالتدريس)، مجلة المعرفة عدد ٢٣٣ ١٩٨٥، ص ٨.
- (١٤٦) لأن البنويين يهتمون فقط بما يقبل الملاحظة.
- (١٤٧) ينظر د. ميشال زكريا: المرجع نفسه، ص ٦٠.
- (148) Noom Chomsky: Aspects de la theorie syntaxique, p 25 .
- (١٤٩) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي ص ٩.
- (١٥٠) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص ٩.
- (١٥١) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: المرجع نفسه، ص ١١.
- (١٥٢) د. محمد الصغير بناني: المدارس اللسانية في التراث العربي في الدراسات الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٥، ص ٢١.
- (١٥٣) د. محمد الصغير بناني: المرجع نفسه، ص ٧٩.
- (١٥٤) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (مدخل إلى علم اللسان)، مجلة اللسانيات، ص ٥٨، ٥٩.
- (١٥٥) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (مدخل إلى علم اللسان)، المرجع نفسه، ص ٥٩.
- (١٥٦) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: النحو العربي ومنطق أرسطو، ص ٦٧ - ٨٦، نقلاً عن حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ٢٤٩.
- (١٥٧) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة، نقلاً عن حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ٢٥٠.
- (١٥٨) ينظر ابن جني: الخصائص، ١ / ١٠٦ وينظر بومعزة رابح: تصنيف لصور الإعلال والإبدال في المشتقات الأحد عشر والمصادر، ص ٥٦ وما بعدها.
- (١٥٩) د. عبد الرحمن الحاج صالح: أول صياغة للتركيب العربية، ص ٧٢. نقلاً عن حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ٢٥١.
- (١٦٠) كأن تحول الوحدة الإسنادية الاسمية المؤدية وظيفة الحال إلى وحدة إسنادية مضارعية مؤدية وظيفة الحال وسوى ذلك.
- (١٦١) محمد الصغير بناني: المدارس اللسانية في التراث العربي في الدراسات الحديثة، ص ٨١.
- (١٦٢) ينظر د. محمد إبراهيم عبادة: الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، ص ١٧٢.
- (١٦٣) ينظر محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص ١١.
- (١٦٤) يقصد به التركيب المحول، لأن التركيب البسيط التوليدي لا أصل له.

- (١٦٥) ينظر برجستراستر: التطور النحوي للغة العربية، ص ٤٨.
- (١٦٦) فالمبتدأ في الجملة التوليدية أو الوحدة الإسنادية التوليدية يأتي معرفة لا نكرة، متقدماً على الخبر، ويأتي مفرداً لا وحدة إسنادية، ويكون مذكوراً لا محذوفاً. والفعل في الجملة الفعلية التوليدية أو الوحدة الإسنادية التوليدية يأتي متقدماً على مرفوعه وعلى المفعول به.
- (١٦٧) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: المرجع نفسه، ص ٢١.
- (١٦٨) ينظر الأشموني: شرح الأشموني، ٢ / ١٩٥. وابن يعيش: شرح المفصل، ٢ / ٧٥.
- (١٦٩) مريم/٤.
- (١٧٠) يقصد بالأصل البنية العميقة.
- (١٧١) ينظر الأشموني: المرجع نفسه، ٢ / ١٩٥.
- (١٧٢) سيبويه: الكتاب، ٢ / ١٨٢.
- (١٧٣) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص ٢٨.
- (١٧٤) لمزيد من الايضاح ينظر سيبويه: الكتاب، ٢ / ١٨٢. والأشموني: المرجع نفسه، ٣ / ١٤١ وأبو علي الفارسي: المسائل العسكرية، ص ٤٥. وابن الأنباري: أسرار العربية، ص ١٥، ونهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج التطور اللغوي الحديث، ص ٤٥ - ٧٩.
- (١٧٥) ينظر عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، ص ١٤٤.
- (١٧٦) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، ص ٢٨.
- (١٧٧) ينظر بومعزة رابح: المرجع السابق، ص ٥٧١.
- (١٧٨) ينظر محمد علي الخولي: قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١، ص ٢٢
- (179) Noom Chomsky: Aspects de la theorie syntaxique, p88.
- (١٨٠) ينظر محمد علي الخولي: المرجع نفسه، ص ٣٩، ٤٠.
- (١٨١) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص ١٩.
- (١٨٢) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: المرجع نفسه، ص ١٥، الهامش ١.
- (١٨٣) ينظر بومعزة: تصنيف وتحليل لصور الإعلال والإبدال في المشتقات الأحد عشر والمصادر، ص 53.
- (١٨٤) ينظر ابن جني: الخصائص، ١ / ١٠٦.
- (١٨٥) د. عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة، نقلاً عن حسن سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي ٢٥٠.
- (١٨٦) يقصد بالمركب الاسمي الاسم المؤدي وظيفة المبتدأ، أي ما يسميه هذا البحث الوحدة الإسنادية
- (187) Emonds Joseph : transformations radicales conservatrices et locales, ED, seuil, Paris, p52
- (١٨٨) ينظر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ١٠٦.

- (١٨٩) الجرجاني: المرجع نفسه، ص ١٣٥، ١٣٦ .
- (١٩٠) ينظر سيبويه: الكتاب ٢ / ١٢٧ .
- (١٩١) عدت مركبة لأن الخبر فيها ورد وحدة إسنادية مضارعية بسيطة.
- (١٩٢) عدت وحدة إسنادية ولم تسم جملة لأنها مؤدية وظيفه مقول القول.
- (١٩٣) ينظر سيبويه: المرجع نفسه، ٨٠ / ١ .
- (١٩٤) سيبويه: المرجع نفسه، ٨١ / ١ .
- (١٩٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ٧٥ / ١، ٧٦ .
- (١٩٦) ينظر سيبويه: الكتاب، ٨١ / ١ .
- (١٩٧) ينظر صالح خديش: (مفهوم التحويل وأنواعه في العربية)، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، ص ١٩٧ - ١٩٩ .
- (١٩٨) عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٨٦، ص ١٢٨ .
- (١٩٩) يقصد الوحدة الإسنادية المضارعية المنفية " لا يحب الفساد".
- (٢٠٠) الوصف يطلق على الاسم العامل عمل فعله.
- (٢٠١) أو نائب فاعل.
- (٢٠٢) ابن يعيش: المرجع نفسه، ٨٧ / ١ .
- (٢٠٣) ينظر د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٠٢ .
- (٢٠٤) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ١٣٥، ١٣٦ .
- (٢٠٥) ينظر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص ١٣٥، ١٣٦
- (٢٠٦) ينظر البرزة أحمد مختار: أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم: دراسة تحليلية لنموذجين من الاشتغال طبيعته وإعراجه، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٥ .
- (٢٠٧) ينظر د. عبد الجبار توامة: (المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي)، أعمال ندوة تيسير النحو، ص ٣١٠ .
- (٢٠٨) ينظر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٩٢، ٩٣، وينظر ابن هشام: شرح شذور الذهب ١ / ٣٣٣ وما بعدها .
- (٢٠٩) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية، اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ص ٢٩ .
- (٢١٠) ابن يعيش: شرح المفصل، ٦٥ / ٣ .
- (٢١١) يقصد بالجملة الوحدة الإسنادية الوظيفية.
- (٢١٢) الجرجاني: المقتصد، ١ / ٢٩٢ .

- (٢١٣) ينظر نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج التطوير اللغوي الحديث، ص ٤٩، ٥٠.
- (٢١٤) ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي، ١ / ٣١٧.
- (٢١٥) يقصد بالجملة الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية.
- (٢١٦) عبد العظيم فتحى: بين الأصالة والنيابة في النحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت، ص ٣٣١، ٣٣٣.
- (٢١٧) ينظر ابن هشام: شرح اللمحة البدرية في علم العربية، تحقيق صلاح راوي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، د. ت، ٣ / ١٣٠.
- (٢١٨) ابن يعيش: المرجع نفسه، ٢ / ٧٦.
- (٢١٩) ينظر حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ١١٩، ١٢٠.
- (٢٢٠) ينظر الدينوري: ثمار الصناعة، مؤسسة بدران، بيروت، ١٩٦٣. ص ٩٣، ٩٤.
- (٢٢١) الاسترأبادي: شرح الكافية، ١ / ٢٥٧، ٢٥٩.
- (٢٢٢) ينظر تمام حسان: أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د. ت، ص ١٢٤.
- (٢٢٣) ينظر عبد الفتاح الحموز: موضع اللبس في العربية وأمن لبسها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت، ص ١٠.
- (٢٢٤) السيوطي: الأشباه والنظائر، ٢ / ٣١٤.
- (٢٢٥) ينظر عبد الفتاح الحموز: المرجع نفسه، ص ٦٢.
- (٢٢٦) ينظر د. محمود نحلة: نظام الجملة في شعر المعلقات، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د. ت، ص ٥٥.
- (٢٢٧) العكبري: اللباب، ١ / ١٣٩.
- (٢٢٨) ينظر فندريس: علم اللغة، ص ١٨٣.
- (٢٢٩) ينظر جون ليونز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧، ص ٢٧ - ٣٠.
- (٢٣٠) ينظر ابن يعيش: شرح المفصل ١ / ١٢٥ والسيوطي: الأشباه والنظائر، ٢ / ٣٠١.
- (٢٣١) أي لا يحتاج إلى الجملة أو الوحدة الإسنادية.
- (٢٣٢) ابن الربيع: البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق عياد البستيتي، مطبعة دار الكتب القاهرة، ١٩٧٨، ١ / ٥٦٦.
- (٢٣٣) ينظر د. نهاد الموسى: الأعراف، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، المؤسسة التونسية للكتاب، ١٩٨٤، ص ١٤٥ - ١٧٦.
- (٢٣٤) ينظر ابن يعيش: شرح المفصل ٩ / ٩١.

- (٢٣٥) الصبان: حاشية الصبان، ١ / ٣١٥، ٣١٦.
- (٢٣٦) عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص ١٣.
- (٢٣٧) ينظر حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ٢٥٢.
- (٢٣٨) ينظر حسام سعيد النعيمي: ابن جنى عالم العربية، ص ١٦٨ - ١٦٩.
- (٢٣٩) هنري فليش: النحو، دار المعارف الإسلامية، ٢٢ / ٦٢، ٦٨.
- (٢٤٠) ينظر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ١٩٢ - ٢١٥٢.
- (٢٤١) ينظر حسن خميس سعيد الملخ: المرجع نفسه، ص ١٨٨.
- (٢٤٢) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية، اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ص ٢٤.
- (٢٤٣) أي العرب.
- (٢٤٤) سيبويه: الكتاب ١ / ٣٢.
- (٢٤٥) ينظر ابن الأنباري: أسرار العربية، ص ٤٩ - ٥٩.
- (٢٤٦) ينظر بومعزة رابح: تصنيف لصور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية...، ص ٥٤٤.
- (٢٤٧) ينظر حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ١١٧.
- (٢٤٨) ينظر بومعزة رابح: المرجع نفسه، صور الوحدة الإسنادية المضارعية المؤدية وظيفية المبتدأ، ص ١٠١.
- (٢٤٩) ينظر ابن جنى: الخصائص، ١ / ٣٤.
- (٢٥٠) ينظر نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج التطور اللغوي الحديث، ص ٣٧، ٣٨.
- (٢٥١) أي المستبدل والمستبدل عنه.
- (٢٥٢) د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية، اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ص ٢٠.
- (٢٥٣) ينظر نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي المكننة الجامعية الأزرابطة، الإسكندرية ٢٠٠١، ص ٣١٣.
- (٢٥٤) نهاد الموسى: المرجع نفسه، ص ٤٨.
- (٢٥٥) ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص ٥٧.
- (٢٥٦) محمد عبيد: المصادر واستعمالاتها في القرآن الكريم، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٩، ١ / ٢٦٧.
- (٢٥٧) يقصد بمدخوله الفعل ومرفوعه أو اسم "إن" وخبرها.
- (٢٥٨) يقصد بالجملة الوحدات الإسنادية الوظيفية.
- (٢٥٩) يقصد بمصدر صريح.
- (٢٦٠) ابن الحاجب: الكافية في النحو، ٢ / ٣٥.
- (٢٦١) ابن الحاجب: المرجع نفسه، ٢ / ٣٥.

- (٢٦٢) وقد يكون المصدر المؤول مكوناً من الحرف المصدرى " أنْ " ومعموليهما .
- (٢٦٣) محي الدين عبد الحميد: عدة السالك إلى ألفية ابن مالك، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢، ١ / ١٨٥/ .
- (٢٦٤) سيبويه: الكتاب، ٢ / ٣٢٩ .
- (٢٦٥) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية، اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ص ٢٩ .
- (266) Mosel Ulrike: Die syntactic Bei Sibawiah, P13 .
- (٢٦٧) يقصد بالجملة ما سماه بحثنا " الوحدة الإسنادية " .
- (٢٦٨) ابن يعيش شرح المفصل، ٨ / ٥٩ .
- (٢٦٩) يقصد بـ " جملة " الوحدة الإسنادية .
- (٢٧٠) يقصد الفعل المضارع المنصوب أو اسم " إن " .
- (٢٧١) ابن يعيش: المرجع نفسه، ٨ / ٥٩ .
- (٢٧٢) ينظر بومعزة رابع: المرجع السابق، صور الوحدة الإسنادية المركبة، ص ٩٧ .
- (٢٧٣) محمود نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص ١٦٨ .
- (٢٧٤) المصدر المؤول لا بد أن يتألف من حرف مصدرى ومدخوله .
- (٢٧٥) ينظر بومعزة رابع: المرجع نفسه، دلالة الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفية المبتدأ أو الخبر أو الفاعل أو المفعول به، ص ١٢٦، ٢١٦ .
- (٢٧٦) ابن يعيش: المرجع نفسه، ١ / ٢٢ .
- (٢٧٧) عباس حسن: النحو الواجب، ٢ / ٢٠٣ .
- (٢٧٨) ينظر عبد الرحمن أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢، ١ / ١٤ .
- (٢٧٩) المركب الاسمي أطلق عليه في بحثنا هذا " الوحدة الإسنادية الوظيفية " .
- (٢٨٠) د. محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة، ص ٧٤ .
- (٢٨١) أبو القاسم السهيلي: نتائج الفكر في النحو، ص ١٢٦ .
- (٢٨٢) وقد سمى بعضهم هذه الوحدة الإسنادية الوظيفية " المركب الاسمي الموصولي "، ينظر دكتور محمد فتح: من المناهج الحديثة للبحث اللغوي، ص ٨٦ .
- (٢٨٣) يقصد بالجملة الوحدات الإسنادية المؤدية وظيفية ما .
- (٢٨٤) ابن يعيش: شرح المفصل ٣ / ١٤٢ .
- (٢٨٥) الزمخشري: المفصل، ص ١٤٣، ١٤٤ .
- (٢٨٦) إذا كان الفعل في هذه الوحدة الإسنادية الفعلية مبنياً للمعلوم تكون البنية العميقة للمشتق المؤولة به اسم فاعل. وإذا كان الفعل فيها مبنياً لما لم يسم فاعله تكون البنية العميقة للمشتق

اسم مفعول.

- (٢٨٧) ابن يعيش: شرح المفصل، ١/٦٣.
- (٢٨٨) ينظر ابن هشام: مغني اللبيب ٢/٥٣، وينظر السيوطي: الأشباه والنظائر، ٢/٢٧.
- (٢٨٩) يقصد بـ "جملة" وحدة إسنادية وظيفية.
- (٢٩٠) ابن يعيش: المرجع نفسه، ٣/١٣٩.
- (٢٩١) ينظر ابن مالك: شرح التسهيل، ١/٢٦٠.
- (٢٩٢) يقصد بجملة صلة الموصول.
- (٢٩٣) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٢٠٠.
- (٢٩٤) ينظر محمد الشاوش: (ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية)، حوليات الجامعة التونسية، ص ٢٥٨.
- (٢٩٥) ابن هشام: المرجع نفسه، ٢/٤٠٩.
- (٢٩٦) هذه الوحدة الإسنادية الوظيفية يسميها التحويليون جملة مدمجة.
- (٢٩٧) يقصد بالجملة الوحدة الإسنادية.
- (٢٩٨) عبد القاهر الجرجاني: المقتصد، ١/٢٩٢.
- (٢٩٩) ينظر د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٠٤، ١٠٥.
- (٣٠٠) ينظر بومعزة رابع: المرجع السابق، صور الوحدة الإسنادية المضارعية المحولة المؤدية وظيفية الخبر، ص ١٤٢.
- (٣٠١) ينظر أبو عبيدة معمر بن مثنى: مجاز القرآن، ٢/١٥٢.
- (٣٠٢) ينظر عبد الله بوخلخال: التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٧، ١/٦٠.
- (٣٠٣) سيبويه: الكتاب، ١/١٧١، ١٧٢.
- (٣٠٤) ينظر د. سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص ٤١٢.
- (٣٠٥) سيبويه: المرجع نفسه، ١/١٦٤.
- (٣٠٦) والتحويل في الصرف ليس دائماً يترتب عليه تغبير في دلالة الصيغة المحولة. إذ قد يراد منه تجنب الثقل الذي في الصيغة الصرفية. ينظر بومعزة رابع: تصنيف وتحليل لصور الإعلال والإبدال في المشتقات الأحد عشر والمصادر، ص ٥٢ وما بعدها.
- (٣٠٧) أي التركيب الإسنادي التوليدي الأصلي، أي النواة.
- (٣٠٨) ينظر د. خليل عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، ص ١٠٠.
- (٣٠٩) سواء أكانت هذه التراكيب الإسنادية جملاً أم وحدات إسنادية وظيفية.
- (٣١٠) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٤٤.

- (٣١١) الجرجاني: المرجع نفسه، ص ٤٤، ٤٥.
- (٣١٢) المقصود بتوافق أحكام النحو توافق البنى وتكافؤها عند العرب. ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ص ٢٩.
- (٣١٣) ينظر د. خميس حسن سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي، ص ١٢٠.
- (٣١٤) والقييد يشمل المفعول به والحال والتمييز والمفعول به والمفعول لأجله.
- (٣١٥) ينظر د. خليل عمايرة: في نحو اللغة العربية وتراكيبها، ص ٩٦.
- (٣١٦) السيوطي جلال الدين: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، تحقيق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٣٣.
- (٣١٧) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٤١١.
- (٣١٨) د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ص ١٢.
- (٣١٩) الحمل هو إجراء الشيء على الشيء.
- (320) Mosel Ulrike: Die syntactic Bei Sibawiah, P 280.
- (٣٢١) لأن المفعول به الأول لظل أصله مبتدأ.
- (٣٢٢) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية، اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ص ٢٢، ٢٣.
- (٣٢٣) أو الوحدة الإسنادية المنسوخة بهذه النواسخ.
- (٣٢٤) نهاد الموسى: نظرية النحو العربي، ص ٦٣ - ٦٧.
- (٣٢٥) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية، اختلافهما النظري والمنهجي)، المرجع نفسه، ص ٢٢، ٢٣.
- (٣٢٦) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية، اختلافهما النظري والمنهجي)، المرجع نفسه، ص ٢٦، ٢٧.
- (٣٢٧) من مثل لم، لا، ليس، ما، لن.
- (٣٢٨) من أدوات التوكيد: إن، أن، لام الابتداء، لام المزحلقة، نونا التوكيد، قد، لقد... إلخ.
- (٣٢٩) ينظر د. خليل عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، ص ١٠١ - ١٠٩.
- (٣٣٠) ينظر د. خليل عمايرة: المرجع نفسه، ص ١٠٢، ١٠٣.
- (٣٣١) أو الوحدة الإسنادية الوظيفية.
- (٣٣٢) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٤١١.
- (٣٣٣) ينظر خليل عمايرة: في نحو اللغة العربية وتراكيبها، ص ١٠٨.

- (٣٣٤) يعد دخول حرف الجر الزائد على الاسم عارضاً مؤثراً على شكل الترتيب وهو تحويل عارض نحوياً لا دلاليًا لإمكانية الاستغناء عنه كما أن الباء يمكن الاستغناء عنها نحوياً فقط لا بلاغياً. ينظر حسن خميس سعيد الملقب: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ١١٩، ١٢٠.
- (٣٣٥) ينظر ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/ ١٣٩.
- (٣٣٦) ينظر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ١٢٤-١٢٦.
- (٣٣٧) ينظر الزمخشري: الكشاف، ١/ ٢٤٨.
- (٣٣٨) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٣٦، باب شجاعة العربية.
- (٣٣٩) الجرجاني: المرجع نفسه، ص ١٣٢.
- (٣٤٠) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)، مجلة اللسانيات، ص ٣٩.
- (٣٤١) ينظر الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص ٦٥.
- (٣٤٢) ينظر د. عبد الواحد حسن الشيخ: دراسات في علم المعاني، ص ١٦٢.
- (٣٤٣) ينظر ابن هشام: معني اللبيب، ص ٦٨٤.
- (٣٤٤) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ص ١٣، ١٥.
- (٣٤٥) سيبويه: الكتاب ٢/ ١٢٩، وينظر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ١١٢، ١١٤.
- (٣٤٦) سيبويه: الكتاب، ٢/ ١٢٩.
- (٣٤٧) ينظر بومعزة رابح: المرجع السابق، صور الجملة الابتدائية الاسمية المحولة، ص ٤٠٦.
- (٣٤٨) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ص ١٨، ١٩.
- (٣٤٩) أي الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية الفعلية.
- (٣٥٠) وقد وردت على هذه الصورة الآيات: البقرة/ ١٣، ١٠١، ١٦٩، ٢١٦، آل عمران/ ٦٦، الأنعام/ ٩٧، الأعراف/ ٣٢، ٣٨، ١٢٣، الحجر/ ٩٦، النحل/ ٥٥، النمل/ ٧٥، العنكبوت/ ٤١، ٦٤، سبأ/ ٣٦، الزمر/ ٢٩، فصلت/ ٣، نوح/ ٤، النبأ/ ٥.
- (٣٥١) محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ٢/ ٣٠٨.
- (٣٥٢) ينظر سيبويه: الكتاب، ١/ ٨٥ وابن يعيش: شرح المفصل، ٦/ ٩٠.
- (٣٥٣) ينظر سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص ٢٠١.
- (354) Noom Chomsky: Aspects de la theorie syntaxique , P 10- 16.
- (٣٥٥) ينظر صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقاتها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص ١٧٣.
- (٣٥٦) أي العرب.

- (٣٥٧) سيبويه: الكتاب، ١ / ٣٤.
- (٣٥٨) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٨٤.
- (٣٥٩) الزملكاني: البرهان الكشاف عن إعجاز القرآن، تحقيق الدكتور حمدي الحديثي والدكتور أحمد مطلوب، ط ١، ١٩٧٤، ص ٢٣٢.
- (٣٦٠) حلمي خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٣، ص ١٠١-١٠٣.
- (٣٦١) ينظرد. مازن الوعر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص ٤٤.
- (٣٦٢) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٤٠.
- (٣٦٣) ينظر عبد القادر مرعي: أساليب الجملة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٦٣.
- (٣٦٤) ينظر ابن السراج: الأصول في النحو ٢ / ١٣١ وابن جني الخصائص، ٢ / ٣٨٢، ٣٨٥.
- (٣٦٥) ينظرد. سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص ٤٠٨.
- (٣٦٦) أو الوحدة الإسنادية الفعلية.
- (٣٦٧) ينظر صالح خديش: (مفهوم التحويل وأنواعه في العربية)، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، ص ١٨٧.
- (٣٦٨) ينظرد. سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص ٤٢٩.
- (٣٦٩) د. سناء حميد البياتي: المرجع نفسه، ص ٤٣٠.
- (٣٧٠) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، مطبعة المعارف، ١٩٤٩، ص ٣٢٩، ٣٣٠.
- (٣٧١) وقد رأى الدكتور محمد حسين أن هذا الكلام ليس من صنع طه حسين فهو ترديد لما قاله القاضي الإنجليزي "ولمور" في كتابه "عامية مصر"، طبعة لندن ١٩٠، ص ١٥. ينظرد. محمد محمد حسين: تطوير قواعد اللغة العربية، دار للنشر والتوزيع، حائل، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥، ص ٥٣.
- (٣٧٢) د. محمد محمد حسين: المرجع نفسه، ص ٥٥.
- (٣٧٣) ينظرد. تمام حسان: الخلاصة النحوية، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٠، ص ١٢٧، ١٢٨.
- (٣٧٤) ينظر بومعزة رابح: تصنيف وتحليل لصور الإعمال والإبدال في المشتقات الأحد عشر والمصادر، ص ٦٠، ١٥٠.
- (٣٧٥) يؤيد ذلك ما صرح به أبو عمرو بن علاء حين قال " ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير".
- (٣٧٦) ينظر السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ٢ / ٣٠٤.
- (٣٧٧) المطردة المقيس عليها بغض النظر عن كونها أصلاً أم فرعاً. والمطرده في القياس هو أن يوافق

- المقياس عليه قاعدة أصلية. ينظر د. عبد الفتاح حسن علي البجة: ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٩٨، ص ٨٢.
- (٣٧٨) ينظر د. عبد الفتاح حسن علي البجة: المرجع نفسه، ص ٦.
- (٣٧٩) ينظر د. عبد الفتاح حسن علي البجة: المرجع نفسه، ص ٦.
- (٣٨٠) ينظر بطرس البستاني: محيط المحيط، مادة حمل، ص ٤٩٥.
- (٣٨١) ينظر محمد الخضر حسين: القياس في اللغة العربية، المطبعة السلفية ومكبتها، القاهرة، ٥١٣٥٣، ص ٢٧.
- (٣٨٢) ينظر د. محمد نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥، ص ٦٧.
- (٣٨٣) ينظر ابن منظور: لسان العرب، ٦ / ١٨٧.
- (٣٨٤) ينظر د. عبد الرحمن صالح عبد الله: الأهداف السلوكية في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٦٦.
- (٣٨٥) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: أول صياغة للتراكيب العربية، نقلاً عن حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ٢٥٠.
- (٣٨٦) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة، نقلاً عن حسن خميس الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ٢٤٩.
- (٣٨٧) يقصد بالمسوغ الخارجي أنه يبني على افتراضي يقتضيه الفعل مثل الفعل " قال " أصلها قول.
- (٣٨٨) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: منطوق النحو العربي، نقلاً عن حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي، ص ٢٤٩.
- (٣٨٩) الرماني: الحدود في النحو، تحقيق دكتور مصطفى الجواد، ١٩٨٩، ص ٤٢.
- (٣٩٠) علي الجرجاني، كتاب التعريفات، ص ١٧٢.
- (٣٩١) علي الجرجاني: المرجع نفسه، ص ١٧٢.
- (٣٩٢) وقد استخدم النحاة فكرة الأصل والفرع في كل مجالات الدرس النحوي وبخاصة في أقسام الكلام الثلاثة (الفعل، الاسم والحرف) فيما يتعلق بالأعراب والبناء وفيما يتصل بالعوامل.
- ينظر عبد الفتاح علي البجة، ظاهرة قياس الحمل، ص ٦٧.
- (٣٩٣) الرماني: المرجع نفسه، ص ٤٢.
- (٣٩٥) د. منى الياس: القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي دار الفكر، دمشق ١٩٨٥، ص ٣٢.
- (٣٩٦) ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة، المرجع نفسه، ص ٢٤٩.